نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ
يسوع المسيح الغالب

مجلة شهرية

Issue No: 28 عدد:
December 2009 كانون اول

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

الصانع ملائكته أرواحاً وخدّامه ناراً تلتهب

رؤساء الملائكة السبعة

صورة لم تكتمل

محتويات العدد

2 صورة لم تكتمل.
3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
5 طريق النساك
6 تفسير القدّاس الإلهي
7 الجمل الصغير وأعداء السوء
8 الرؤية الرعويّة واللاهوتيّة
11 نار في كوخ
12 القديس يوحنا المعمدان
14 شهداء الكنيسة الأوائل
15 العهد القديم. (١٢)
16 العفة
20 الملائكة - للقديس يوحنا الدمشقي
23 للأولاد الأذكياء فقط

توزع هذه المجلة مجاناً
جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١
تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122
e-mail: light_christ@yahoo.com
إعداد وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

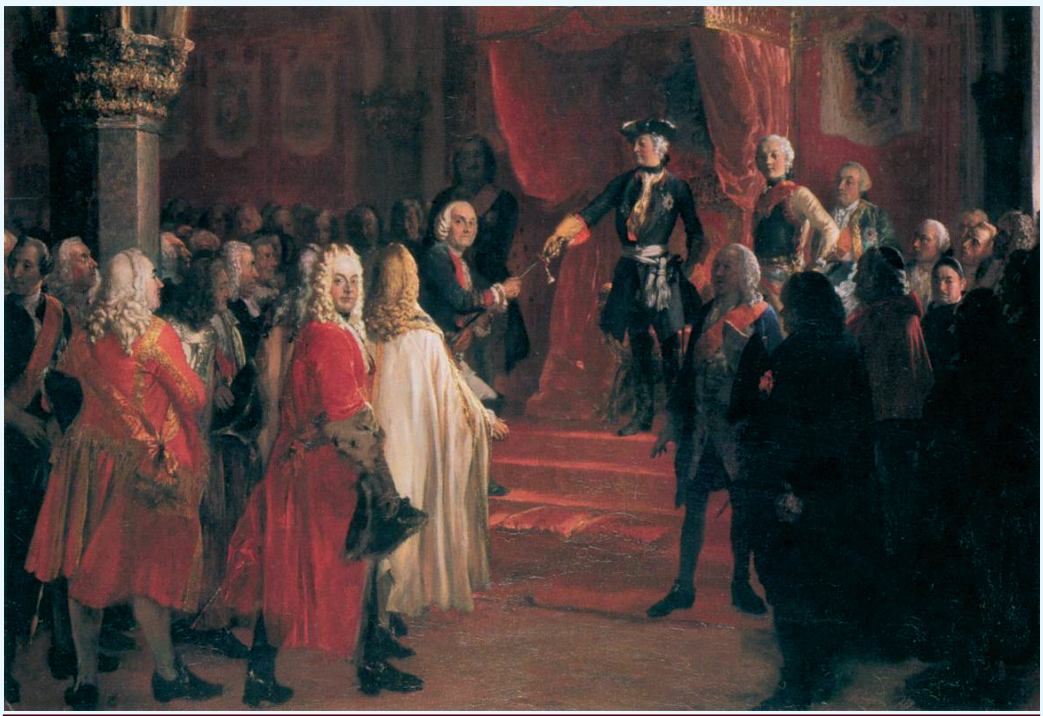

هذه اللوحة الجميلة للفنان مينزل MENZEL ، لقد مات قبل إنهاء صورة الإمبراطور

يوجد لوحة جميلة للفنان "مينزل" في متحف برلين، وهذه اللوحة الجميلة ينقصها شيء واحد ، بها جزء غير مرسوم، فقد مات "مينزل" قبل أن ينتهي من رسمها.

وهذه اللوحة تُمثّل "فريدرك الأكبر" وهو يتحادث مع رؤساء جيشه. وقد رسم "مينزل" الرؤساء في جوانب الصورة وترك مساحة في الوسط، تدلّ لمساته الأولى على أنها صورة الإمبراطور. ولكن عاجله الموت قبل أن يُكملها.

وللأسف هذا هو حال الكثيرين. يهتمون بأمور هذه الحياة، ويتركون مَلِك الحياة ، على رجاء أن يأتي يوم في المستقبَل ويهتمون به. وكأنّهم ضامنين حياتهم لسنين هذا عددها. وسرعان ما يرحلوا كهذا الفنّان واللوحة لم تكتمل بعد.

يا أخي الحبيب

لا تنسى أنّك لا تملك من الوقت سوى هذه اللحظات التي تقرأ الآن فيها هذه السطور ، واستعد من الآن للقاء إلهك لأنّ الوقت وقتٌ مقبول واليوم يوم خلاص. الفرصة مواتية إستغلّها قبل فوات الأوان.

إنّ أقوى سلاح يحاربنا به الشيطان هو إغراؤه لنا بطول الحياة ومُتّسع الأجل ، ولابد للإنسان أن يضع أثماراً تليق بالتوبة في فترة حياته على الأرض.

والمسيحيّ العاقل لا يتمادى في شهوات نفسه ، فيسرح ويمرح في ربوع الخطيّة والإثم طَمعاً في التوبة في آخر ساعة من حياته.

فلربما يُعاقب اللّه مثل هذا الإنسان بأن ينتزع منه الحياة إنتزاعاً في وقت ضيق. فيموت بالسكتة القلبيّة مثلاً أو تصدمه سيارة فجأة ، أو يغرق في لجات الأنهار والبحار. وإذ ذاك لا يجد وقتاً للتوبة.

أو لربما يتصلّب قلبه في الإثم ، ويموت ضميره في حناياه بتوالي الآثام ؛ فلا يملك الندم على ما فات.

فالعاقل مَن لا يهمل في أمور دُنياه مسألة آخرته التي هي **خيرٌ وأبقى**.

إنّنا نحمل معنا وعلينا جسداً واهناً خافتاً ، سائراً نحو موته. ومهما كان الجسد في حالة نضارة وعنفوان الشباب وحتى لو عاش طويلاً ، إلاّ أنّه وبتوالي السنين سيأتي وقتٌ لا يجد أمامه بعد ما يمتدّ إليه **سوى الموت**.

الموت هو الحَدث الوحيد الثابت الذي لا مَفرّ منه.

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

غبطة بطريرك
المدينة المقدسة اورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

" لقد جعلت الجوهر العاري من الجسد باكورة مخلوقاتك يا صانع الملائكة. تحتفُّ حول عرشك الطاهر هاتفةً قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ أنتَ يا اللّه الضابط الكل " .

أيها الأبناء الأحباء

إنّنا مدعوون لتقديم الإكرام والتقدير البالغ للجواهر العقليّة ، وخاصّة لرئيسيّ الملائكة ميخائيل وجبرائيل المرشدَين والقائدين للطغمات الملائكيّة العديمة الأجساد وهم العروش، والسيرافيم ، والشاروبيم ، والأرباب والقوّات ، والسلاطين ، والرئاسات ، ورؤساء الملائكة ، والملائكة.

إنّ الرسول بولس يذكر الملائكة في رسالته إلى العبرانيين فيقول: "أليسَ جميعهم أرواحاً خَادمة مُرسَلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" . وبكلام آخر فإنّ الملائكة هي أرواح خادمة مرسَلة من لدنه تعالى لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص والتمتّع بالحياة الأبديّة.

والقديس يوحنا الذهبي الفم يقول: إنّ خدمة وعمل الملائكة هي خدمة للمشيئة الإلهيّة لتحقيق الخلاص للبشرية جمعاء.

والسيّد المسيح يؤكّد أنّ الملائكة القديسين ستشترك معه في مجيئه الثاني المجيد فيقول: "لأنّ من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطىء ، فإنّ ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين" .

أما في مثل الغني ولعازر فإن الإنجيل يقول: "فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم" . وهذا تأكيداً لخدمتهم العاملة لخلاصنا.

وفي حياة السيّد المسيح على الأرض التي امتدت ما بين البشارة و الصعود، نلاحظ عمل الملائكة الدؤوب الخاضع للمشيئة الإلهيّة ، يظهر الملائكة كخدّام لدعم حقيقة التجسّد الإلهيّ للمسيح يسوع، إما بالتمجيد وإما بالتسبيح أو بالشهادة له .

فنلاحظ أن الملاك جبرائيل يبشّر بقدوم المسيح وبدء تجسّده "وفي الشهر السادس أُرسلَ جبرائيل الملاك من اللّه إلى مدينة من الجليل اسمها الناصرة .إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ... مبشراً إيّاها بحلول الروح القدس فيها" . ثم نلاحظ أن عمل الملاك يستمر في مجالات أخرى: فيظهر مثلاً ليوسف بالحلم ،ويطلب منه أن يأخذ الصبي وأمه إلى مصر ، وبعدها يطلب منه العودة إلى البلاد بعد موت هيرودس الذي كان يطلب نفس الصبي يسوع .

وبعد عمّاد يسوع في نهر الأردن، وصومه ٤٠ يوماً وتجربته مع الشيطان يقول الإنجيلي متى: "ثمّ تركه إبليس ، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه" .

وفي آلام السيّد المسيح الطوعيّة في جبل الزيتون وحسب الإنجيليّ لوقا يقول: ("يا أبتاه إن شئت أن تُجيز عنّي هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك" وظهر له ملاكٌ من السماء يقويه).

أما القديس متى فيخبرنا في إنجيله الشريف ، زمن القبض على يسوع فيقول للقديس بطرس: "أتظنُّ أنّي لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدّم لي أكثر من إثني عشر جيشاً من الملائكة" .

أما في القيامة المجيدة فيبشرنا متى الإنجيلي ويقول: "وإذا زلزلةٌ عظيمةٌ حدَثت، لأنّ ملاك الرب نزَلَ من السماء وجاءَ ودحرج الحجر عن الباب ، وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ، ولباسه أبيض كالثلج" ... "وأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب" .

أما في صعود ربّنا يسوع المسيح إلى السماء: فيخبرنا سفر أعمال الرسل: "وفيما هم شاخصون نحو السماء وهو منطلقٌ إذا برجلين وقفا عندهم بلباس أبيض وقالا لهم ... سيأتي هكذا كما عاينتموه منطلقاً ألى السماء" .

إن القوّة التي للملائكة هي مُستَمَدّة من اللّه لأن الملائكة هي من مخلوقاته العلويّة لذا لا مقارنة بين المسيح الخالق وبينها المخلوقة. لذلك نرى أن هناك ٩ طغمات ملائكيّة تختلف بقوتها العقليّة وماهيّة وظيفتها وطريقة خدمتها.

إن من صفات الملائكة أيضاً أنّها لا تموت ، ولا تنتمي إلى جنس معيّن سواء الذكري أو الأنثويّ لأن لا جسد لها إنما هي قوات عقليّة مثلما يذكر البشير متى "لأنّهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوّجون، بل يكونون كملائكة اللّه في السماء" .

وحسبَ ما يقول مرنّم الكنيسة:

"لنسبحنَّ جميعاً يا مؤمنون للثالوث الغير المخلوق الذي يسود ويدبّر أجواق الصّافات العلويّة الغير الهيوليّة" .

أما بالنسبة لعمل الملائكة، فهذا يعني أنّهم يمجّدون اللّه باستمرار وبدون توقف من ناحية العبادة والخدمة. كما يذكر ذلك سفر الرؤيا " ونظرتُ وسمعت صوتَ ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ، وكان عددهم ربوات ربوّات وألوف ألوف " .

هكذا يُعلنون لنا الغير المفهوم والغير المعلوم والغير الملموس ، والغير المُدرَك. كل هذا نسبياً وبحسب قدرتنا واستطاعتنا لإستيعاب تلك الإعلانات.

وكما يصرخ مرنّم الكنيسة: " لما كان ربوات الملائكة الماثلين لديك على الدوام ليخدموك لا يطيقون أن ينظروا إلى طلعة وجهك صارخين قدّوسٌ ، قدّوسٌ قدّوسٌ رب الصباؤوت " . هذا كلّه نابعٌ من التواضع الكبير الذي للملائكة المملوء بالطاعة التامة للّه الآب.

وكما يقول مرنّم الكنيسة:
" لقد جعلتَ بقدرتك الماثلين لديك في العلاء دائماً يا منزّهاً عن الموت أقوياء مقتدرين. ينفّذون إرادتك المقدّسة " .

هكذا يتمّمون رسالة الخدمة للجنس البشري حسب رسم التدبير الإلهيّ.

إخوتي الأحباء

إنّ الإشادة برؤساء الملائكة لا يتعلّق فقط بوجود وخدمة العمل للقوات الغير المنظورة ، لكن يتعلّق أولاً ، وخاصّة لسرّ تجسّد كلمة اللّه لخلاص الجنس البشري.

سرّ الخلاص هذا ليسَ إلاّ إتحاد السماويات بالأرضيّات ، أي الطبيعة الإلهيّة مع الطبيعة الإنسانيّة في شخص المسيح يسوع. أما بالنسبة للإتحاد بين طبيعة الإنسان البشريّة مع الطبيعة الإلهيّة للمسيح تحدثُ فقط في الكنيسة وبالكنيسة.

فالكنيسة هي كجسد المسيح آدم الجديد، ليسَ شيئاً آخر إلاّ من دخولنا إلى الحياة الأبديّة أي أن نتذوّق ملكوت اللّه بدءاً في الكنيسة، هذا لأنّ كنيسة المسيح ليست فقط أرضيّة ومحدودة في واقعها ، لكنها سماويّة وغير منظورة في وجودها.
بكلام آخر: طبيعة كنيسة المسيح هي إلهيّة وإنسانيّة ، تماماً مثل طبيعتي المسيح الإلهيّة والإنسانيّة في إقنوم واحد.
هذا يعني أن القوّات السماويّة والأرضيّة يتساوون في الكنيسة الواحدة الجامعة المقدّسة الرسوليّة، التي تتميّز إلى كنيسة مجاهدة ، وإلى كنيسة منتصرة.

أيها الأخوة الأحباء

إنهاّ الشركة الروحيّة بين السماويين مع الأرضيين ، وفرح الملائكة معنا نحنُ جنس البشر لهذا يصرخ مرنّم الكنيسة:
"إيّاك نعظّم بلا فتور أيها المسيح. يا مَن ضَمَّ الأرضيات إلى السماويات . وألّفَ كنيسة واحدة من الملائكة والبشر " .

اليوم نحنُ مدعوون ـ وخاصة مع بدء صوم الميلاد المجيد ـ لأن نضع إرادتنا ومشيئتنا تحت إرادة ومشيئة العناية الإلهيّة قائلين مع الملاك ميخائيل **لنصغِ بإنتباه** ، **وننتبه بإصغاء** : وذلك لأنّه رأى الشيطان ساقطاً من السماء مثل البرق لأجل كبريائه وتشامخه وعنفوانه .

إنّ الكنيسة في دخولها في فترة الصيام المبارك إستعداداً للإحتفال بعيد ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد ، تتخذ منهجها الروحي والتقليدي والآبائي ، لإستقبال الفادي والمخلّص في مغارة بيت لحم .

وذلك من خلال ممارسة الوسائط الروحيّة مثل الصيام ، واعمال الرحمة مثل الصدقة ، والتوبة الصادقة المقرونة بالعزم الثابت والوطيد بتغير إتجاه سلوكيّاتنا وممارساتنا الخاطئة ، وكذلك زيارة المرضى والمسجونين ، ودعم ومشاركة المحتاجين بالقول والفعل أي بالعطاء الروحي والمادي. كل هذا مقروناً بالصلاة المُحبّة ، الهادفة ، النقيّة الطاهرة، المتواضعة ، المملوءة حرارة، المسكوبة من داخل القلب والفكر ، لكي نهيىء مكاناً مقدّساً ليضطجع فيه المخلّص في مغارة قلوبنا. لأن مثل هذه الصلاة القويّة الصادرة من القلب لا يمنعها شيئاً من الصعود إلى السماء.

فكما ملائكة اللّه في السماء لا ينفكّون تمجيداً وتبجيلاً للّه بملء المحبّة والطاعة والإخلاص ، دون توقّف.

فحريٌّ بنا نحنُ المدعوون لنحظى مجاناً من الفادي بخلاص نفوسنا وإعادتنا للتمتّع بملكوت اللّه ، أن نقدّم هذا المجد والتبجيل المقرون بالأعمال الصالحة المليئة بالمحبّة ، لأنّ المسيح في تجسّده الإلهيّ أتى لكي يخلّص شعبه (كل العالم) من خطاياه. فلا شركة بين النور والظلمة وبين المسيح وبليعال.

إنّ داود النبيّ يقول : " قلباً نقيّاً أخلق فيّ يا اللّه وروحاً مستقيماً جدّد في أحشائي " . والكتاب المقدّس يقول: " يا إبني أعطيني قلبك " ، والمسيح في إنجيله المقدّس يحدّد وبوضوح مكانة القلب فيقول: " حيثُ يكون كنزك هناك يكون قلبك " .

هنا وبعد نقاوة قلوبنا يمكننا أن نشترك مع الملائكة القديسين، بالفرح الروحي العظيم المملوء تهليلاً وتمجيداً ، والذي حدث في ملء الزمان في حقل الرعاة زمن ميلاد المخلص قائلين وصارخين:

« المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام
وفي الناس المسرة ».

وكل عام وانتم بألف خير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

طريق النساك خطايا الآخرين وخطاياك

الآن بعد أن صرت مُدركًا وواعيًا لمدى بؤسك وشقائك. الآن وقد أدركت عجزك وشرّك، فاصرخ إلى الرب كما فعل العشار قائلاً: "اللهم ارحمني أنا الخاطئ" (لو ١٨:١٣)، وأضف أنت وقل: "**هوذا، أنا أردأ كثيراً من العشار، لأني لا أستطيع مقاومة النظر إلى الفريسي بازدراء وقلبي يتكبر ويقول: أشكرك أني لست مثل ذلك الفريسي**"!

ولكن – كما يقول القديسون – حينما تتحقّق من الظلمة التي في قلبك ومن ضعف جسدك، فإنك تفقد كل رغبة في أن تدين قريبك. فإنك – من خلال ظلمتك سترى النور السماوي المضيء على كل الأشياء المخلوقة، ستراه منعكسًا ومُشعًا بوضوح أكثر: فأنتَ لا تستطيع أن تلاحظ خطايا الآخرين بينما خطاياك أنت عظيمة وكثيرة جدًا. لأنك في سعيك التوّاق والحار نحو الكمال ستكتشف عدم كمالك أنتَ أولاً، وعندئذ فقط أي عندما ترى نقصك وعدم كمالك، فإنك حينئذ يمكن أن تكتمل. وهكذا فالكمال يتولد من خلال الضعف.

وعند هذه النقطة فإنك ستمنح النتيجة التي تنبأ بها **مار اسحق السرياني** لأولئك الذين يقمعون ذواتهم فيقول: "وعدوك سيهرب سريعًا أمامك".

مَن هو العدو الذي يتحدث عنه هنا **الأب القديس اسحق؟** طبيعي أنه يتحدث عن ذلك العدو نفسه الذي سبق أن اتخذ يومًا ما شكل الحية، والذي منذ ذلك الحين، يثير في نفوسنا: **عدم الاكتفاء وعدم الرضا، وعدم الصبر والتهور، والغضب، والحسد، والخوف، والضيق، والقلق والكراهية، والكآبة، والكسل، والغم، والشك، وعلى وجه الخصوص كل ما يملأ كياننا بالمرارة، والذي تكمن جذوره في حبنا لذواتنا وعطفنا على الذات.**

فالذي يتحقق – بواسطة تمخضات الحب – أنه لا يطيع سيده، كيف يمكنه أن يرغب في أن يكون هو نفسه مُطاعًا؟ ولماذا إذن – يضطرب أو يكون غير صبور أو شديد الانفعال إذا لم تسر الأمور كما يشتهي؟ فقد عَوَّد نفسه من خلال الممارسة أن يشتهي شيئًا، والإنسان الذي لا يشتهي شيئًا فإن كل الأشياء تسير حسب إرادته، كما يقول **القديس دورثيئوس**. فقد توافقت مشيئته مع مشيئة اللّه وكل ما يطلبه سيناله (مر١١:٢٤). هل يستطيع أحد أن يحسد شخصًا لا يمجّد نفسه أو يدمح ذاته بل على العكس فإنّ هذا الشخص الأخير يرى حالته ويعتبر أن كل شخص غيره هو أفضل منه وأجدر منه بالشهرة والكرامة؟ وهل الخوف، والضيق، والقلق، يمكن أن تحدث للشخص الذي يعرف – كما عرف اللص على الصليب – أنه ينال جزاء أفعاله (لو ٢٣:٤١). إنّ الكسل فارق مثل هذا الشخص لأنه دائمًا يكشف هذا الكسل في داخل نفسه، والاغتمام أو الإنكسار لن يجد له مكانًا في حياته، إذ كيف يمكن أن ينطرح أرضًا من هو منبطح أصلاً على الأرض؟ أما الكراهية عنده فستتجه كلية إلى كل شر في حياته، ذلك الشر الذي يعتم عليه رؤيته للرب. وبذلك فإنه "يبغض نفسه" (لو ١٤:١٦). وحينئذ لن يكون هناك أساس للشك على الإطلاق، لأنه يكون قد تذوّق ونظر ما أطيب الرب (مز ٣٣:٨)، فالرب وحده هو الذي يحمله. ومحبته تنمو وتزداد باستمرار في الاتساع ومعها ينمو إيمانه أيضًا.

إن هذا الإنسان قد صنع سلامًا مع نفسه، فالسماء والأرض تكون في سلام معه كما يقول **مار اسحق السرياني**. إنه بذلك يحصد ثمرة الاتضاع. ولكن ذلك كله يحدث فقط في الطريق الضيّق، "وقليلون هم الذين يجدونه" (مت ٧:١٤).

من أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم

إنّ السيّد المسيح لم يأتِ ليهرب من تعييراتنا، بل ليزيلها. إنّه لا يخجل من أي نوع من أنواع نقائصنا. وكما أن أولئك الأجداد في سلسلة أنساب المسيح أخذوا نسوة زانيات، فكذلك ربنا وإلهنا خطب لذاته طبيعتنا التي زنت.

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

لنرفعنّ أذهاننا فوق الأرضيات

إنّ إنتصابنا كي نسمع الربّ الذي يتحدّث إلينا بالقراءة الشريفة، يعني أنّه يتوجّب على الذهن أن يرتفع فوق الأرضيات كي نتمكّن من فهم كلمة اللّه:

"لننتصب ولنسمع قراءة الإنجيل المقدّس". بكلام آخر ، لنرفعنّ أذهاننا مع أعمالنا فوق الأرضيّات ، ولندركَنَّ الخيرات المُعلنة لنا.

الكاهن ، عندما يقول: "الحكمة ، لننتصب" ، يحثّنا على التحادث مع اللّه ، ليس بفتور ، بل بغيرة وتقوى حارّة . . . لنظهرنَّ بانتصاب الجسد وقوفاً علامة أُولى للغيرة والتقوى ، لأنّ هذه هي وضعيّة المتضرّعين . هذه هي وضعيّة العبيد الذين ذهنهم مشدود إلى إشارة من سادتهم لكي يسرعوا على الفور لخدمتهم . . . ونحنُ نقف متضرّعين أمام اللّه نطلب الخيرات الأسمى.

أما فتورنا وخمولنا فهي فرصة الشرير الكُبرى ليسرق منّا الخيرات التي تمنحنا إيّاها القراءة الإنجيليّة : "هذا الكنز الروحيّ لا ينضب ، أعني به الكتاب المقدّس، وعندما يُحفَظ الكتاب داخل حافظ الكنوز ، أي مستودع ذهننا ، فإنّه يغدو بعيد المنال عن أيّة مُحاولة للتعرّض له ، إلاّ إذا وفّرنا نحن الإمكانيّة ، بفتورنا وخمولنا ، لذاك الذي يُريد أن يقتنصها منّا. لأنّ عدوّنا ، أي الشيطان الشرّير، عندمايُشاهد كنزاً روحيّاً مجمّعاً ، يستحوذ عليه الجنون ، ويصرّ أسنانه ويسهر دون إنقطاع كي يجد فرصة مناسبة لإقتناصها وللإيقاع بنا. وما من فرصة سانحة أكثر من خمولنا وفتورنا . لهذا السبب علينا أن نكون صاحين على الدوام ونسدّ أمامه كُلّ المنافذ" (أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم).

والمكان الذي تقودنا إليه القراءة الشريفة هو مدينة الملكوت السماويّ. الإنجيل الذي نسمعه كلّ مرّة هو دليلنا إلى هذه المدينة. فلندخل إليها باستعداد موافق ، بسَهر وصحو ، لأنّ "هذه المدينة تتميّز بطابعها الملكي وشدّة لمعانها . . . لنفتحنّ إذاً أبواب أذهاننا على مصراعيها ، وبرهبة عظيمة ، إذ نحنُ على وشك أن نطأ عتبتها ، فلنسجدَنّ لملكها . . . عسانا ندخل مدينة الملكوت هذه بهدوء وسلام ، لا بل بسكون سريّ" (أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم).

بصفاء قلب وارتياح ذهن من كلّ همّ

يقول المتوشّح باللّه القديس مكسيموس المعترف "أنّ مَنْح الكاهن السلام يُشير إلى منح نعمة اللاهوى من اللّه إلى المؤمنين المجاهدين في سبيل الإنعتاق من الأهواء. وهكذا ، فعندما يتحرّر المجاهدون من حربهم المتواصلة ضدّ قوى الظلمة ، يتمكّنون من توجيه قِوى نفوسهم نحو

العمل الروحي ، أعني به عمل الفضائل"

المسيح ـ بيد الكاهن وفمه ـ يهب نفس المجاهد السلام الذي من فوق : "سلامي أُعطيكم" ، "لأنّي سأكون معكم مجدّداً حتى عندما أغيب عنكم بالجسد . . . سوفَ أرفعكم فوق كلّ ضوضاء . . . والقوّة الإلهيّة ستشرق في أعماقكم ، وعندما يصفو القلب ويرتاح الذهن من كلّ اهتمام ، ترشدكم قوّة اللّه إلى إعلان ما يفوق كلّ ذهن بشَري" (أقوال القديس كيرللس بطريرك الإسكندرية). وهذه القوّة الإلهيّة التي تشرق في نفوسنا هي سلام اللّه الذي يقودنا في القدّاس الإلهيّ إلى فهم سرّ المحبّة الإلهيّة.

* * *

"ولروحك" : الشعب الذي يقتبل بركة السلام من الكاهن يُصلّي لأجله ، فهو الأب والراعي ، وذلك كي يجني هو أيضاً سلام اللّه.

من جواب الشعب نُدرك ، أنّ ذهن الأنسان يحتاج بشكل أساسي لسلام اللّه. لأنّ الضوضاء داخل النفوس ، "لا تثيرها طبيعة الأمور ، بل مرض الذهن". ويقول القدّيس يوحنا الذهبي الفم: " أُطلُب تلك السكينة التي في الذهن" ، "وإذا جهّزنا ذهننا على هذا النحو ، وصبرنا على الضيقات ، فلن يكون عندنا شتاء قارس ، ولا عاصفة هوجاء ، لأنّه سيسود فينا على الدوام صفاء لا يعروه اضطراب".

الشمّاس: فصلٌ من بشارة القدّيس (فلان) الإنجيليّ البشير. والتلميذ الطاهر.

الكاهن: لِنُصغِ.

والشمّاس: يقرأ المقطع الإنجيليّ المعيّن. ومتى انتهت قراءة الإنجيل ، يقول الكاهن للشمّاس : السلام لكَ أيّها المُبَشّر.

الشعب : المجد لك يا ربّ ، المجد لك.

بشارة الملكوت

الكلمة التي تُعلن للبشر سرّ التدبير الإلهيّ تُدعى بشارة. لأنّ هذه الكلمة هي البشارة السّارة التي مفادها أنّ اللّه نزَل إلى الأرض ليُخلّص الإنسان : "هوذا أُبشّركم بفرح عظيم . . . أن قد وُلدَ لكم اليوم مخلّص ، أعني به المسيح الربّ". يسوع المسيح هو بَشارة الإنجيليّين السّارة : "هو بشارة (إنجيل) خلاصنا". (أقوال القديس كيرللس بطريرك الإسكندرية).

الإنجيل هو كلمة عن اللّه الكلمة . ويتساءل القديس يوحنا الذهبي الفم: "ما الذي يساوي مثل هذه البشارات السارة؟ اللّه على الأرض ، والإنسان في السماء . الكلّ اتّحد. الملائكة باتوا في جوق واحد مع البَشر ، والبشر اشتركوا في حياة الملائكة وكلّ القوّات السماويّة. صار بالإمكان رؤية الحرب المستديمة وقد هدأت. اللّه تصالح مع البشَر. الشيطان أُخزيَ . الشياطين وَلّت هاربة . الموت أُبطل. الفردوس فُتح. اللعنة أُبيدَت. الخطيئة فرّت. الضلال طُرد. الحقّ استُعلن . كلمة التقوى زُرعت في كل مكان وأعطت ثمراً كثيراً. حياة السَماء غُرسَت على الأرض". لذلك يدعو الإنجيليّ "بشارة سارّة" الحوادث التي تتعلّق بحياة المسيح المختلفة الجوانب ، لأنّ "كلّ ما تبقّى ليس سوى كلمات فارغة من كلّ مضمون حقيقيّ . . . أما كرازة الصيّادين ، تلاميذ المسيح ، فيمكن تسميتها ، بالحقيقة وبكلّ معنى الكلمة ، "بشارة سارّة (إنجيلاً). ليس فقط لأنّها خيرات ثابتة وأرفع قدراً منّا ، بل لأنّها مُنحَت لنا بكل سهولة. فنحنُ لم نتعب ولم نعرق . . . بل وُجدنا محبوبين من اللّه وأخذنا ما أخذنا". (القديس كيرللس الإسكندري).

يفتكر المؤمنون بكلّ هذه الخيرات ، وحتّى قبل أن تبدأ قراءة الإنجيل ، لذا هم يمجّدون اللّه بعرفان جميل: "المجد لك يا ربّ. المجد لك". والتمجيد نفسه يمهر نهايةَ القراءة. (يمهر من الفعل مَهَرَ – ماهرٌ – وفيه حذقٌ ، أي كان حاذقاً عالماً – أي أتقنها معرفة).

* * *

ويقول القدّيس مكسيموس المعترف معلّقاً على قراءة الإنجيل بعلاقته مع المجيء الثاني للمسيح : " إنّه يُشير إلى نهاية العالم ، لأنّه بعد قراءة الإنجيل المقدّس ، ينزل رئيس الكهنة عن العرش ، ويصار إلى صرف الموعوظين مع كلّ مَن لا يستحقّ متابعة الأسرار التي تُجرى إقامتها. وقراءة الإنجيل تُشير من نفسها إلى حقيقة نهاية العالم وترمز إليه على نحو مُسبق . . . كما لو أنّها ، بعد أن تمّت كرازة المسكونة قاطبة ببشارة المَلكوت ، تهتف: "ثُمّ يأتي المنتهى".

أثناء الإجتماع الإفخارستي ، ينزل المسيح بمجد "كما يُشير إلى ذلك نزول رئيس الكهنة عن العرش". وبصرف الموعوظين وغير المستحقين للإشتراك في السرّ ، تتبلوّر أمامنا صورة مُسبَقة عن الدينونة الرهيبة. السرّ المقدّس الذي تُجرى خدمته في ما يلي هو تذوّق مُسبَق للملكوت وللفرح الأبديّ ، فرح المؤمنين الذين يشتركون في عشائه "**بأجلى بيان**".

يتبع في العدد القادم

الجمل الصغير وأصدقاء السوء

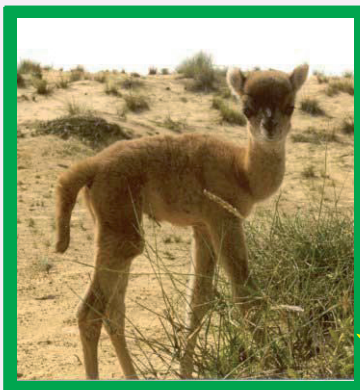

لاحَظَ شريف أن ابنه قد ارتبط بصداقات شرّيرة. بعد أن كان ممتازاً في سلوكيّاته ، لطيفاً في تعامله مع والديه ، مجتهداً في دراسته ، حريصاً على وقته ، لقد تغيّر حاله تماما. صارَ يشعر كأنّ البيت سجناً يريد أن ينطلق دائماً منه ، وإنَ حَضَرَ يقضي ساعات طويلة على التليفون مع أصدقائه. أهمَلَ في دراسته ، وصارَ شرساً في معاملاته مع أسرته.

بدأ شريف يتحدّث مع ابنه عن الصداقات الشريرة المُفسدة للحياة. لكن الإبن دافَعَ عن نفسه ، أنّه يريد أن يحيا ، وأنّ الحياة ليست دراسة وسجناً في البيت.

روى شريف **قصة الجمل الصغير وأصدقاء السوء**.

إذ كان الجمل الصغير مُرهقاً إتكأ رأسه على الأرض في صَمت ، فجاء إليه غراب يقول له : "لماذا تجلس بمفردك أيها الجمل المسكين؟ أراكَ مُرهقاً للغاية بسبب الأحمال التي توضع عليك. تعالَ معي في الغابة القريبة. إنّنا نعيش معاً في كمال الحريّة ، نلهو اليوم كلّه ، ونتحدّث معاً ، ولا نحمل همّاً ، ولا نلتزم بمسؤوليّة. نأكل ما نشاء ، وننام متى أردنا ، لسنا تحت قانون معيّن ، ولا يوجد مَن يتحكّم فينا" .

إنطلق الغراب يطير وكان الجمل يجري وراءه حتى دخل الغابة وسار بين الأشجار الكثيفة ، وأخيراً وجد نفسه أمام عرين أسد.

دَخل الجميع إلى عرين الأسد ملك الحيوانات.

ـ شكلك غريب ، لم أشاهد مثلك من قَبل. من أنت؟

ـ أنا جمل صغير وضعيف أطلب صداقتك وحمايتك.

ـ لا تخَف فإنّك من اليوم أنتَ صديقٌ لي.

فَرِحَ الجمل الصغير بهذه الصداقة ، فكان يلهو كثيراً مع أصدقائه الغراب والذئب والثعلب والأسد. ظَنَّ الجمل أنّه قد نال حُرّيته ، يعيش في لهوٍ دائم وحياةٍ سهلة في الغابة ، يحميه ملك الحيوانات نفسه.

في أحد الأيام جاءه الغراب والذئب والثعلب وقد ظهر عليهم علامات الحزن الشديد. ولما سألهم عن السبب قالوا:

التتمة في صفحة ٢٣

الرؤية الرعويّة واللاهوتيّة
في تعاليم القديس يوحنا الذهبي الفم (٢)

كنيسة آجيا صوفيا للروم الأرثوذكس في مدينة القسطنطينيّة ، وبداخلها توجد أيقونة القديس يوحنا الذهبي الفم (أعلاه) المكتوبة بالفسيفساء

تعاليمة اللاهوتيّة :

لقد اهتم بتقديم كتابات تتسم بالعمق والبساطة والوضوح. وفي هذا المجال قدّم سلسلة عظات تحمل رؤيته اللاهوتيّة في بعض الموضاعات التي تمس الإيمان المسيحي. ورغم أنّه قد انشغل بشكل أساسي بأعمال الرحمة في خدمة الفقراء والمعوَزين، وكرّس جزءاً كبيراً من حياته في خدمة كل من احتاج ، ورغم تأكيده على أن الحياة التعبديّة لا يمكن ولا ينبغي أن تبقى في عُزلة عن الحياة العمليّة ، حيث إنّ التقوى عنده لم تكن بديلاً عن الخدمة والعمل من أجل المحتاجين ، إلاّ أنه قد خصص وقتاً ليس بقليل للردّ على الهرطقات ، وللردّ على اليهود واليونانيين ثم قدّم مجموعة عظات عن جوهر اللّه غير المُدرَك ، مُكوّنة من ١٢ عظة ، وهي مقسّمة إلى قسمين كما يتضح من محتواها:

١ – ضد الأنوميين (من عظة ١–٦) *

٢ – عن وحدة الجوهر الإلهي (من عظة ٧–١٢).

وقد ألقاها في خريف سنة ٣٨٦ ومطلع سنة ٣٨٧ في مدينة أنطاكية ، باستثناء العظتين الأخيرتين اللذين ألقاهما في مدينة القسطنطينيّة سنة ٣٩٨ . ونظراً لخطورة الأفكار التي نادى بها الأنوميين على نقاوة العقيدة وسلام الكنيسة ، فقد قام القديس يوحنا الذهبي الفم بتخصيص مجموعة من العظات للردّ عليهم وتفنيد آرائهم المنحرفة وكَشف زيف هذه الآراء وخطورتها. ولكي يخصص القديس يوحنا الذهبي الفم سلسلة طويلة من العظات للردّ عليهم ، فهذا يُشير إلى أنّ المشكلة التي أثاروها ، كانت مشكلة خطيرة. فبرغم مرور أكثر من نصف قرن على إدانة الأريوسيين (من قِبَل المجمع المسكوني الأوّل في نيقية سنة ٣٢٥) إلاّ أنّها كانت موجودة بأشكال متنوعة، وتتسم بالغرابة والتناقض ، ولأنّه راعي أمين على رعيّته ، فلم يكن يرغب أن ينحصر في موقف الدفاع ، بل شَنَّ هجوماً شديداً على خصومه ، وكان يهدف من وراء ذلك ، ليس فقط دحض آراء خصومه المنحرفة، بل وأن يُقيم أولئك الذين سقطوا، كما عبَّر هو نفسه عن ذلك، بأن هذا كان هدفه وفي ذلك كانت سعادته. هذه العظات تقدّم لنا القديس يوحنا الذهبي الفم كمعلّم لاهوتي مقتدر، صاحب رؤية متميّزة تستند على تعاليم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وأيضاً على تقليد الآباء. أيضاً **كمعلّم قادر على كشف زيف الهراطقة وإدعائاتهم الباطلة.**

ففي عظاته الخمس الأولى ينقض آراء الأنوميين الخاصة بإمكانية معرفة جوهر اللّه. لأنّهم نادوا بأن الإنسان لديه الإمكانية لمعرفة جوهر اللّه. وهذا ما اعتبره القديس يوحنا الذهبي الفم تزييف وخداع. وقد استند في رؤيته على الأنبياء وعلى تعاليم القديس بولس. فيرى أن الأنبياء قد تحيّروا في إدراك جوهر الحكمة الإلهيّة، وحكمة اللّه تأتي من جوهر اللّه، وطالما أن حكمة اللّه تظل غير مُدركة، إذاً فالجوهر الإلهي، سيبقى على كل الأحوال

* الأنوميين :مجموعة من الهراطقة خرجت من رحم الأريوسيّة، وكانت تتسم بالتطرّف الشديد في أفكارها. وهي تنتسب إلى أفنوميوس وهو هرطوقي ظهر في القرن الرابع وقد نادى بأن الإبن هو من جوهر مختلف أقل من جوهر الآب، وإن كان قد أخذ وجوده من جوهر الآب، وبطريقة مماثلة قالوا إن جوهر الروح مختلف عن جوهر الآب وعن جوهر الإبن. إلاّ أنّه أتى من طاقة الإبن ، كأوّل وأعظم مخلوقاته. (Κατά Ευνομίου PG. 30, 861 Δ)

أمر غير مُدرَك.

فإذا كنا نجهل طاقات اللّه (ενεργέιες του θεού) التي استُعلنت في الخليقة، والتي يدعوها الذهبي الفم (οικονομία)، (إيكونوميّا)، فهل يمكن أن ندرك جوهر اللّه ؟ وقد ادعى الأنوميون أيضاً "أن الإنسان يعرف اللّه معرفة جيّدة، تماماً كما يعرف اللّه ذاته"، يرفض القديس يوحنا الذهبي الفم هذا الإدعاء، ويستند في هذا على أن الإنسان في ذاته هو (تراب ورماد) (تك١٨:٢٧). ولكنّه كما يؤكّد قد أخذ موهبة الحريّة كتكريم له، وهذه الموهبة تُعطي له قيمة كبيرة. ومع هذا فلا ينبغي للإرادة الإنسانيّة أن تتباهى، بالإدعاء بأن لديها إمكانية لإدراك جوهر اللّه بالعقل. إن الإنسان ليس فقط لا يمكنه إدراك جوهر اللّه ، بل ولا يمكنه إدراك جوهر ذاته، طالما أنه لا يعرف ماهية نفسه، ولا العلاقة بين النفس والجسد. ولذلك فعلى الإنسان أن يُسلّم ذاته للّه بلا شروط وبلا نقاش، تماماً مثل الإناء في يد الفخاري إذا ما أراد أن يأتي في عُلاقة مع اللّه.

والدليل على ضعف الإنسان عن إدراك جوهر اللّه، هو جهله بالعلم الطبيعي الفوقاني. لكن جهل الإنسان ، غير مرتبط بوجود اللّه ، بل بماهيّة جوهر اللّه. ثم يشير إلى الكثير من رسائل القديس بولس ، ليؤكّد عى أن الرسول بولس نفسه قد أكّد على أن معرفة اللّه ، هي معرفة محدودة ، فإن كان بولس يُنكر على نفسه المعرفة التامة عن اللّه ، كما جاء في رسالته إلى أهل فيلبي (في ٣:١٣) ، فكيف يستقيم إدعاء الأنوميين حول إمكانيّة إدراك جوهر اللّه ؟ إنّ الحقيقة لا يُعلّمها كلام بشري ، بل سيُعلنها اللّه (في ٣:١٥).

ثم يستطرد القديس يوحنا الذهبي الفم قائلاً إن اللّه غير مُدرَك من الملائكة أيضاً. ومن المعروف أن الفرق بين البشَر والملائكة فرقٌ كبير ، بقدر الفرق بين الأعمى والمبصر. بل أن الإنسان لا يستطيع أن يدرك جوهر الملائكة ، ثم يتساءل وهل معرفة الإنسان معرفة كافية ؟ يقول أن المعرفة الحاليّة تختلف عن المعرفة المستقبليّة على قدر اختلاف الإنسان الناضج الذي يعرف ماهية نفسه ، عن المولود الذي يرضع (١كو١٣). فالمعرفة الحاليّة هي معرفة جزئيّة. على سبيل المثال أنني أُدرك أن اللّه حاضر في كل مكان ، وهو بلا بداية وبلا نهاية. وأنّه غير مولود، ويلد الإبن، ومنه ينبثق الروح القدس، لكنني أجهل كيف يحدث كل هذا. فاللّه لا يُعَبَّر عنه، لا يُمكن إدراكه، وغير مرئي ويعلو على قدرات الإنسان الذهنيّة، لا يمكن فحصه حتى من الملائكة، ولا يدركه الشاروبيم، ولا تستطيع الرئاسات والسلطات والقوّات أن تفحصه، وأنّ الإبن والروح القدس هما فقط مَن يعرفان الآب. (Κατά Ευνομίου, Λογος 5,1.)

في العظة السادسة والتي ألقاها سنة ٣٨٦ قبل الإحتفال بعيد الميلاد بقليل، وهو العيد الذي يصفه بأنّه (عيد الأعياد) لأن منه أُخذت الإحتفالات الأخرى بدايتها (الظهور الإلهي - القيامة - الصعود - عيد الخمسين). يؤكد بأن تأنّس المسيح هو سرّ يفوق الإدراك.

وفي القسم الثاني من العظات (من ٧-١٢)، والذي يحمل عنوان "وحدة الجوهر الإلهيّ" نجد أن الموضوع يتغيّر في الفقرة الثانية من العظة السابعة ويبدأ بعبارة "إن كان الإبن له نفس القوّة ونفس السلطان وهو من نفس جوهر الآب" ويعلّق بأن هذا الموضوع لا ينبغي أن يكون موضوع بحث خاصّةً وأن الكنيسة قد أخذت موقف رسمي في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. لكنه حين يُناقش هذا الموضوع، فلكي يُقنع المعارضين، بأن الإبن هو واحد مع الآب في الجوهر، ويستند في ذلك أولاً، على أساس الكتاب المقدّس، وثانياً، على رؤية البشر المشتركة كيف أن "ذلك الذي يلد هو واحد في الجوهر مع من وَلَده". ثالثاً : يستند إلى الطبيعة المشتركة للأشياء.

أما فيما يتعلّق بالعظة الثامنة فهي من حيث المحتوى لا علاقة لها بهذا القسم من العظات، إذ يقول الذهبي الفم "لقد سبق هذا جدل مع الهراطقة، الذين أشاروا إلى (مت٢٠:٢٣) لكي يؤكّدوا على أن المسيح ليس له نفس سلطان الآب. لكنه ينصح بدراسة مدقّقة ومتأنيّة للكتاب المقدس، لأنّهم في حالات كثيرة يُسيئون التفسير. ومرّة أخرى ينقض إدعاء خصومه من خلال نصوص الكتاب المقدس، وفي بقية العظة يقدّم تفسيره الشخصي للجزء المشار إليه (مت٢٠:٢١)، لكي يزيل الشكوك التي ربما قد تكون طرأت على أذهان المستمعين.

وفي العظة التاسعة يُشير إلى قيامة لعازر، ويرد على الهراطقة الذين قالوا بأن المسيح قبل أن يُقيم لعازر صلّى إلى الآب، إذ قالوا "كيف يُمكن لذاك الذي صلّى أن يكون واحد في الجوهرمع من يُصلّي إليه". إذاً فالمسيح ليسَ واحداً في الجوهر مع الآب. يردّ القديس يوحنا الذهبي الفم ناقضاً هذا الإدعاء، بإسلوبه المعتاد متسلحاً بنصوص الكتاب المقدس. إذ يقول إن الصلاة لم تكن لأجل القيامة، بل لأجل تعليم من كانوا حاضرين في تلك الساعة. فصلاة يسوع لا تمثّل برهاناً على عدم وحدته في الجوهر مع الآب. لأنّه كثيراً ما كان يصلّي لكي يعلّم تلاميذه أن يصلوا. وهل هناك طريقة للتعليم أفضل من التعليم بالمثال ؟ الصلاة بالنسبة للمسيح لا تعني نقصاً في القوّة، والدليل على هذا أن المعجزات التي صنعها لم تكن يسبقها صلاة.

(ιωάννου χρυσοστόμου, Εργα Δογματικά, σελ.15)

وفي العظة العاشرة يقول إن تجسّد الإبن وليس الآب ليس دليلاً يُتخذ ضد ألوهيّة الإبن. وحين صار أسقفاً للقسطنطينيّة في بدايات سنة ٣٩٨ ، ألقى العظتين الأخيرتين هناك (**عظة ١١-١٢**)، وقد مرّت عشرة سنوات من تاريخ إلقائه للعظات (**من ١-١٠**) التي ألقاها في مدينة أنطاكية، إلا أنه قد واجه في القسطنطينيّة نفس المشاكل الي واجهها في أنطاكية، لأنّ الآريوسيّة كانت قد انتشرت. في **عظة ١١** أثناء تجليسه على الكرسي الأسقفي، تحدّث عن أنّ العهد القديم والجديد يتفقان فيما بينهما بشكل مُطلق، ويتحدثان عن ألوهيّة الإبن. وفي **العظة ١٢** وهي تعتبر إمتداداً **للعظة ١١** ، لأنها ألقيت في وقت قريب جداً أي في الأحد اللاحق ، يتحدث فيها عن شفاء المُقعد، ويدلّل بها على ألوهيّة المسيح ، ويدعم هذا من الطريقة التي تحدّث بها مع اليهود (يو٥-١٧). أما عن عظاته ضد اليهود، فإنّه يُظهر فيها أبوّة الراعي الذي يعتني بخلاص أبنائه ومصيرهم الأبدي. ثم يشرح موضوع الناموس

وأنّ لا ضرورة له الآن، ولا معنى للتمسّك بأحكامه مُشيراً إلى ما كتبه الرسول بولس في هذا الصدد، حيثُ أن البّار أمام اللّه هو الذي يحيا بالإيمان وليس يحيا بعمل الناموس. وأن ما دعاه لتقديم هذه السلسلة من العظات ضد اليهود هو ما كان يستشعره من خطر جراء تمسّك بعض المسيحيين الضعفاء بأحكام الناموس.

لذلك قدّم أيضاً سلسلة عظات ضد اليهود، مكوّنة من ٨ عظات ألقيت سنة ٣٨٦ .

إذ يذكر في عظته الثانية ضد الأنوميين أن صراعه ضدهم قد تراجع، وأن صراعاً آخراً ضد اليهود قد بدأ، وهو مُثقَل به ، حتى يسند الأخوة الضعفاء الذين سقطوا في الخداع اليهودي. إذ كان هناك بعض المسيحيين الذين اعتادوا أن يصوموا وأن يختلطوا مع اليهود. ففي العظة الأولى بدأ يشرح ويوضح أن الناموس كان ضرورياً حتى مجيء المسيح، وبعد مجيئه صار أمراً زائداً، فلا معنى للتمسّك بأحكام الناموس، مُشيراً إلى ما كتبه الرسول بولس "بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرّر أمامه" (رو٣:٢٠)، لا فرق في هذا بين اليهودي واليوناني "لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأنه ربّاً واحداً للجميع غنيّاً لجميع الذين يدعون به لأن كل من يدعو بإسم الرب يخلص" (رو١٠:١٢). وأن في المسيح "قد ظهر برّ اللّه بدون النّاموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء برّ اللّه بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (رو٣:٢١-٢٢). هذا هو كلام القديس بولس ، وكلامه يكتسب أهميّة خاصة ، بسبب أصله اليهودي. فهو كيهودي يعرف أهميّة الختان، وأهميّة الناموس بشكل عام. إذاً فالناموس يكتسب قيمة عندما يقود للمسيح، وحيث إن المسيح قد أتى ، فهو إذاً بلا نفع كما يقول في عظته الثانية. وفي العظة الثالثة يُشير إلى أولئك الذين يحتفلوا بالأصوام والبصخة على أساس اليوم الرابع عشر من شهر نيسان، سواء كان هذا اليوم هو يوم أحد أم لا. هذه المشكلة وجد لها المجمع المسكوني الأوّل سنة ٣٢٥م حلاً وأن عدم قبول البعض لقرارات الكنيسة، قد أثار الضعف داخلها. وبحسب رؤية القديس يوحنا الذهبي الفم، ليست هناك أهميّة لعدد هؤلاء حتى ولو كان الرافض لقبول هذه القرارات هو واحد فقط. طالما أن الضعف موجود ويثير خطراً. ويشرح بأننا نصوم أربعين يوماً بالطبع وهذا من أجل خطايانا، دون أن يرتبط الصوم بسرّ الآلام والصليب، لأنّ هذه ليست أحداث حزن، بل هي أحداث فرح، لأن بها خَلُصَ الإنسان. ثم يستطرد قائلاً إن الشركة في الصوم اليهودي كان يمثّل خطوة أولى ، تقود لسقوط المسيحي في شباك اليهوديّة. ويتساءل القديس يوحنا الذهبي الفم، كيف يحتفل اليهود بالبصخة ويصوموا في أرض غريبة ووطن غريب، الأمر الذي يمنعه الناموس ، وكان قاطعاً فيّ هذه الجزئيّة (تثنية ١٦:٥-٦). والأمر الأكثر غرابة بينما هم يخالفون الناموس، يركض المسيحيّون نحوهم ويحاكونهم. (ο.π. σελ.16)

ويختم **العظة الثالثة** بدعوة المسيحيين (الأخوة الضعفاء) بأن يعودوا للمسيح، ويُصلي بأن يسود الوفاق والوئام بين الأخوة. ويشير إلى أنّه في عصور أخرى كانت خطايا اليهود كثيرة، منها قتل الأبناء، السقوط في عبادة الأوثان، الجحود، ومع هذا لم يفقدوا رضى اللّه وحنوّه، إلاّ أنهم الآن، لا يمكنهم أن يتمتّعوا بهذا العطف بعد. لأنّه يقول: "لقد قتلتم المسيح وسفكتم دمه، وصرتم غير قابلين للإصلاح" . هكذا فإن الكوارث التي حلّت بهم، جاءت نتيجة ترك اللّه لهم. وقد كان بين الذين يسمعون إليه ، يهوداً ، قد أراد أصدقاؤهم من المسيحيين أن يستمعوا إليه. ثم يوجّه كلمته إلى المؤمنين أن ينتزعوا من المجمع، إخوتهم الضعفاء الذين ذهبوا مخدوعين إلى هناك. ويقول إن الناموس الذي اعتلى الشيب رأسه (أي الذي شاخ)، لا يمكنه أن يُصارع. ويعود إلى عبارة الناموس كيف أن العبادة هي في أورشليم فقط، وبالتحديد في الهيكل، وينتهي إلى نتيجة مفادها، أن هذه الأشياء غير موجودة الآن، لأنّها قد دمّرت، وبناء عليه فهذه العبادة لا يمكن أن تصير في المجمع الآن، لأنّها ستكون خارجة على ما يقرّه الناموس. ثم يتساءل عن مدى صحة الكهنوت اليهودي الآن، بعد مجيء المسيح، ويقول إن الكهنوت القديم انتهى، ونشأ كهنوت جديد على طقس **ملكي صادق**. لقد تراجع الكهنوت اليهودي، كما تراجع الناموس، لكي يعطي مكانة للكهنوت المسيحي. إذاً لماذا هذا الإهتمام باليهود وأعيادهم من قبَل بعض المسيحيين ؟ ويوجّه لهم النصح بالإبتعاد عن اليهود، أما بخصوص من سقط من الأخوة في الفخاخ اليهوديّة، فينصح بجذبهم مرة أخرى إلى حظيرة الإيمان. أما عن الأوصاف الثقيلة واللغة القاسية التي استخدمها ضد اليهود، فلأنه كان يرى الخطر الكبير المُحدق بالمسيحيين والذي كان يهدّد سلام الكنيسة ووحدتها، ولأنه راعي حقيقي، فقد شعر بالتزام تجاه حماية رعيته من هذا الخطر اليهودي. (ο.π. σελ.174-176)

أما عن كتاباته ضد اليهود واليونانيين الذين أنكروا ألوهيّة المسيح، فقد أكّد القديس يوحنا الذهبي الفم بحجج قاطعة على ألوهيّة المسيح له المجد، وهذه الحجج على عكس ما يتوقع المرء، لم تُستَقى من الكتاب المقدس، بل أنها تستند إلى أحداث تحمل حقائق لا يستطيع أحد أن يتشكّك فيها وهي:

١ ـ ما قام به السيّد المسيح من أعمال أثناء فترة حياته على الأرض، هي أعمال متفرّدة في التاريخ الإنساني، وتتجاوز كل القدرات الإنسانيّة، وهذا يبرهن على ألوهيّته.

٢ ـ موت المسيح على الصليب، لم يشكّل نهاية لعمله الخلاصي، بل هو محطّة وبداية جديدة في حياة الكنيسة التي أسّسها بدمه. هذا الحدث غير المعتاد في تاريخ الإنسانيّة يُظهر قوّة المسيح الفائقة.

٣ ـ لقد خرجت مدينة بيت لحم من دائرة عدم الإهتمام وصارت موضع للسجود والعبادة، وهذا حدَث آخر لا تخطئه العين ويشهد على قوّة المسيح الإلهيّة.

٤ ـ التحوّل الشامل الذي حدث في نفس القديس بطرس بعد القيامة، وأيضاً في نفوس التلاميذ الآخرين، والذي جعلهم مبشّرين بالحقيقة وشهوداً لجراحات المسيح، يُشكّل أيضاً شهادة أخرى لألوهيّة المسيح.

٦ ـ حدث آخر يفوق الفكر البشري بحسب القديس يوحنا الذهبي الفم، وهو أن التعاليم والعقيدة المسيحيّة، برغم الظروف

الصعبة والمعقّدة قد انتشرت في كل مكان، وليس هذا فقط بل وازدهرت بشكل فائق. ومن خلال التعاليم المسيحيّة انفتحت طُرق حياة جديدة، وتغيّرت العادات والتقاليد القديمة، وحلّت الفضائل محل الشهوات القديمة، وجذب **الطريق الضيّق والكَرب** الكثيرين إليه. هكذا تغيّر شكل العالم، وهكذا تجدّدت حياة الكنيسة، وهكذا شَهِدَ التاريخ أكبَر وأعظَم ثورة ، **ثورة النور ضد الظلام. ثورة الحَياة ضد الموت، النعمة والبركة ضد لعنة الناموس.**

بالإضافة إلى هذا كلّه، يعود القديس يوحنا الذهبي الفم، فيدلل على ألوهيّة المسيح من خلال النبوّات أيضاً، والتي تمّت جميعها بلا استثناء في شخصيّة المسيح. وبشكل خاص يذكر النبوّات الخاصة بتأسيس الكنيسة، خراب أورشليم وهيكل سليمان والذي حدث كما هو معروف **سنة ٧٠م** عندما احتلّ الإمبراطور الروماني تيطس المدينة. ولم يتجاهل ذكر محاولة الإمبراطور يوليانوس الجاحد، إعادة بناء الهيكل، والتدخل الإلهيّ لوقف هذا العمل.

من ناحية أخرى فإن كُتّاب الأسفار المقدّسة يُشكّلون بحسب الذهبي الفم دليلاً قويّاً جداً، في مواجهة الرافضين لألوهيّة المسيح. فهم لا يسجّلون فقط معجزات المسيح، بل أصله المتواضع، وآلامه وصلبه، وهي أمور كان من الممكن جداً، بسبب الإمتنان والوقار الفائق لمعلّمهم، أن يعبروا عليها ولا يذكرونها.

أخيراً فيما يتعلّق بنهجه اللاهوتي في مجال التعاليم الخريستولوجية فقد كان القديس يوحنا الذهبي الفم يؤكّد دوماً على حقيقة المسيح الواحد. ورغم أنه أخذ جسداً، إلاّ أنه لا زال هو اللّه **الكلمة** ، بلا انفصال أو اختلاط. فما حدث في التجسّد هو إتحاد وليس إمتزاج، فطبيعته لم تتحوّل إلى طبيعة أخرى، بل اتحدت بالأخرى.

ويميّز بين تعبير جوهر أوسيّا (ουσία) وطبيعة فيسي(φύση)، ويقول إنها كلمات تعبّر عن الطبيعة، وبين تعبير أقنوم إيبوستاسي (υπόσταση) ، وشخص بروسوپو (πρόσωπο) ، وهي كلمات تعبّر عن الشخص. ويقول إن المسيح هو من نفس جوهر الآب. أما من جهة علاقة الإبن بالآب، فهو يستخدم صيغة مجمع نيقية سنة **٣٢٥م** ، في تفسيره للجزء الخاص بصلاة المسيح في بستان جثسيماني (مت ٢٦:٣٩) . وقد واجه هرطقات كثيرة ظهرت في ذلك الحين ونادت بأن الإبن لم يتجسّد، بل كان هذا مجرّد اعتقاد وخيال (ماركيون ـ ماني وهرطقات أخرى). قال: "إن هؤلاء شرعوا في هدم التعليم عن التدبير الإلهي. على الرغم من أن الآلام والموت والقبر الفارغ، أمور قد حدثت بالفعل.

ومن الجدير بالذكر أنّه لم يصل إلى درجته أحدٌ من آباء الكنيسة الآخرين في كثرة المؤلفات وتفاسير الكتاب الإلهي، فإن ما وصل إلينا من مؤلفاته **١٤٤٧ مقالة** و **٢٤٩ رسالة** وقد أنشأ لهُ من معلمّي الكنيسة **٢٢ معلماً** مدائح امتدحوهُ بها. ومنها طروباريّته المشهورة:

لقد بزغت النعمة من فمك مثل نور المصباح. فأنارت المسكونة. وأذخرت للعالم كنوز مقت الحرص على الفضّة. وأوضحت لنا سموَّ الإتضاع. فيا أيها الأب يوحنا الذهبي الفم المؤدّب الناس بمواعظه. تشفّع إلى الكلمة المسيح الإله في خلاص نفوسنا.

نار في كوخ

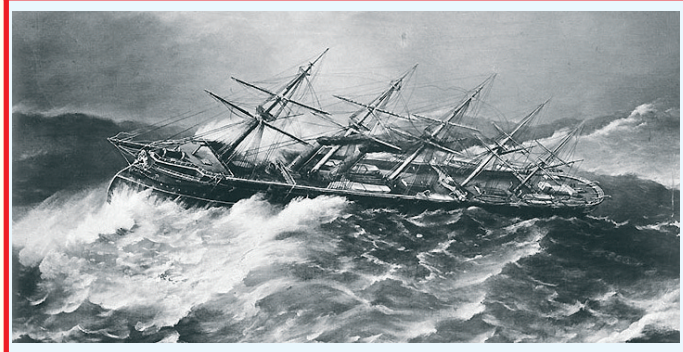

هبّت عواصف شديدة وتحطّمت سفينة ماثيو ، ولم يكن أمامه إلاّ أن يسبح على بعض عوارض السفينة التي حطمتها العواصف ليستقر في جزيرة مهجورة.

ركع ماثيو على أرض الجزيرة الصغيرة يشكر اللّه الذي أنقذ حياته ثم قام يبحث في الجزيرة الصغيرة لعله يجد ماء يشربه أو نباتاً يأكل منه ، لكنه وجدها قفر بلا ماء ولا طعام.

بروح الشكر بدأ يجمع الأخشاب المتبقيّة من السفينة المحطّمة ليقيم منها كوخاً صغيراً يأوي فيه من حرّ الشمس ومن برد الليل.

كلما مَرّ به فكر تَذَمُّرٌ يرفع عينيه إلى السماء صارخاً:

"كل الأمور تعمل معاً للخير للذين يحبّون الله" (رو٨:٢٨)

أنا أعلم أنّك صانع خيرات.

تحوِّل كل ضيقة ومرارة لخيري !

أنت أب سماوي قدير وحكيم ومُحب !

أَقبَل كل شيء بشكر من يديك !.

فجأة إذ كان في طرف الجزيرة الآخر لاحظ ناراً قد اشتعلت في الكوخ الذي صنعه.

في عتاب تطلّع نحو السماء ، ولم يعرف ماذا يقول. صَمَتَ الرجل قليلاً وهو يسأل اللّه :

" لماذا سمحتَ بهذا يا إلهي! "

بعد ساعات جاءت سفينة تسأل عنه. سأل قبطانها عن سبب مجيئه ، فأجابه رأينا النّار المشتعلة فأدركنا أنّك تطلب نجدة !

أنت صانع الخيرات !

أنت تحوّل المرارة إلى عذوبة !

أنت أب تترفق بي أنا إبنك !

القديس يوحنا المعمدان (٤)

تأمل في شخصيته

يجدر بنا الآن أن نتأمّل في شخصيّة يوحنا المعمدان الفريدة التي أعطيت في الإنجيل ، وفي الكنيسة مكانة خاصّة.

الملاك

رسالة يوحنا قد حدّدها العهد الجديد بتطبيقه عليه نبوءة من العهد القديم: " ها أنذا أرسل أمام وجهك ملاكي ليهيء طريقك قدّامك" (متى ١١:١٠ ، مر١:٢) .

وإذا عُدنا إلى نص النبوءة الحرفي في ملاخي نقرأ : " ها أنذا أرسل أمام وجهي ملاكي فيهيء الطريق أمامي" (ملاخي ٣:١) ، واستبدال ضمير المتكلّم بضمير المُخاطب هنا دليل المساواة التامة الكائنة بين الآب والإبن. يوحنا كان إذاً « **الملاك** » (والعبارة هذه تعني المُرسَل) الذي أتى ليهيء الطريق أمام الرب ، ليمهّد سُبُل ملكوت اللّه الآتي بالمسيح إلى البشر. ولذا نرى الكنيسة تمثّله في أيقوناتها مجنّحاً كالملائكة الذين شابههم بكونه مثلُهُمْ "أرسل للخدمة من أجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب ١:١٤) ، " كان إنسان مرسل من اللّه اسمه يوحنا" (يو ١:٦).

السابق

لقد أُرسلَ يوحنا ليمهّد الطريق للرب « ليسير أمامه» (لو١:١٧) ولذا دُعيَ «**السابق**» وشبّهته الكنيسة «بالكوكب السحري السابق الشمس» . إن أنبياء العهد القديم كلّهم كانوا على صورة ما سابقين للمخلّص، يُشيرون إليه بصورة ورموز من أعماق العصور. أما يوحنا ، فلأنّه كان خاتمهم ، فقد حَظيَ بأن يرى بعين الجسد ما رآه الأنبياء السابقون بعين الروح فقط ، وأن يُشير إليه بالبنان وأن يُلامس هامته بيده.

الصابغ

ولأن يوحنا كان يمثّل العهد القديم بأفضل مظاهره ، فقد شاء الربّ أن يتقبّل منه المعموديّة ـ ذاك التطهير الرمزي ـ «لكي يتمّم كل بر» العهد القديم (متى ٣:١٥)، أي لكي يدخل في رموز العهد القديم بتواضع الفادي ، جاعلاً نفسه مع الخطأة ، فيحوّل بقوّة الفداء تلك الرموز إلى حقيقة ، والظلال إلى نور ، ومعموديّة الماء إلى «معموديّة الماء والروح» التي بها يتجدّد الأنسان في أعماق كيانه. لقد كان يوحنا خادماً لهذا السرّ الذي أذهله ، فشاهد الروح منحدراً على الإبن الحبيب وحاضناً الماء ليجدّد به الخليقة كما حضنه عند الخليقة الأولى ليَبُثَّ الحياة فيه. ولأن الرب قد شاء أن يحني هامته أمام يوحنا ليتقبّل المعموديّة منه ، إستحقَّ السابق لقباً آخَرَ هو لقب « **الصابغ**».

السابق الأول لمجيء المسيح

المنادي بالتوبة

ولكن يوحنا كان قبل ذلك بدأ يُمَهّد الطريق للمسيح. «صوتٌ صارخ في البريّة: أعدّوا طريق الرب ، مهّدوا سُبله» لقد كان ملكوت اللّه قريباً ، ملكوت اللّه لا يُدخَل إليه إلاّ بالتوبة. لذا نادى يوحنا بالتوبة ، والتوبة إنما هي إنسلاخ عن ذهنيّة الخطيئة وأعمال الخطيئة ، والسلوك في نهج جديد ، ولذا دعا يوحنا إلى « تقديم أثمار تُليقُ بالتوبة » (لو ٣:٨). والتوبة تتجلّى بالسلوك اليومي. في صغائر الأمور وكبائرها ، في معاملة الناس ، في العمل المهني على أنواعه ، ولذا كان يُظْهر مناهج التوبة للعشّارين جُباة الضرائب قائلاً لهم: «لا تتقاضوا أكثر مما فُرِضَ لكم » (لو٣:١٣)، وللجنود « لا تُرهِقوا أحداً ولا تَفتروا على أحد واقنعوا بمرتّباتكم» (لو ٣:١٤).

والتوبة عمليّة شاقّة تتطلّب عنفاً روحيّاً «ملكوت السموات يُغتصب والمغتصبون يأخذونه عنوةً» (متى ١١:١٢). ولذا كان يوحنا يُعَنِّف النّاس ليُحَرِّك فيهم الضمائر المتحجّرة والنفوس المُخَدَّرة ، فيخاطبهم بقسوة **كلها محبّة** ليدفعهم إلى الخلاص.

الغيور

لقد كانت غيرته الملتهبة غيرة إيليا المجيد ، لا تتورّع من توبيخ الملوك ليتوبوا أيضاً، ولذا فقد كان مصيره مصير الأنبياء

الصالحين الذين لم يُماثلوا الناس ولن يُساموا على كلمة اللّه ، ولكنّهم جابهوا بها دونَ وَجَل عظماء هذا الدهر فكان استشهاده مقدمة وصورة لموت المسيح الذي « أكلته (أيضاً) غيرة بيت اللّه».

الشاهد

ذاك الإستشهاد لم يكن سوى خاتمة وقمّة الشهادة التي أدّاها يوحنا في حياته. لقد حدّد العهد الجديد دوره بإطلاقه عليه لقب الشّاهد : «هذا جاء للشهادة ليشهد للنّور . لم يكن هو النّور بل ليَشهَد للنّور» (يو ١:٧-٨) .

على ضفاف الأردن شُهِدَ يوحنا ليسوع ، شَهِدَ له قبل ظهوره قائلاً : " ولكن يأتي بعدي من هو أقوى منّي ، وأنا لا أستحق أن أحلّ سيور نعليه ، فهو يعمّدكم بالروح القدس والنّار" (لو ٣:١٦) ، وأخيراً إنّه الفادي المُنتَظر والديّان "الذي يجمع القمح إلى أهرائه وأما التبن فيحرقه بنار لا تنطفىء" (لو ٣:١٧). وعندما ظهر يسوع أشار إليه قائلاً : "هوذا حمل اللّه ، الذي يرفع خطيئة العالم . . . أشهد أن هذا هو ابن اللّه" (يو ١:٢٩-٣٤). وفي كلتا الحالتين ـ نرى يوحنا يحوّل عنه انتباه تلاميذه ـ وقد كانوا كثيرين ـ لكي يوجّههم نحو شخص آخر. ذلك أن يوحنا كان الشاهد بكل ما في الكلمة من معنى . لم يرد أن يبني لنفسه زعامة شخصيّة ، لم يرد أن تلتف حوله الجموع ، إنما جلّ همّه كان أن يُمحى ويتلاشى أمام ذاك الذي كان يُنذر بمجيئه.

لقد كان تلاميذ يوحنا يتضايقون عندما بدأت الجموع تقبل إلى يسوع وتهجر معلّمهم ، أما هذا الأخيرفأفهمهم أنّه هكذا بلغ أمنيته: " ينبغي له أن ينمو ، ولي أن انقص" (يو ٣:٣٠)، لقد أرسل بنفسه تلاميذه إلى يسوع ، وأفهمهم أن العريس الذي إليه يزَف شعب اللّه ذلك العريس الذي تحدّثَ عنه نشيد الأنشاد والذي ولدت الكنيسة بالدم والماء المتدفقين من جنبه المطعون على الصليب كما خرجت حواء من جنب آدم ، إنّ ذلك العريس هو يسوع وأنّه هو يوحنا صديق العريس الذي خطب له الشعب على ضفاف الأردن : "من له العروس فهو العريس ، وأما صديق العريس ، القائم بقربه ويسمعه ، فإنّه يهتز فَرَحاً لصوت العريس ، فذاك هو فرحي ، وقد اكتمل " (يو ٣:٢٩).

لقد كان فرح يوحنا بأن يمحى لكي يصبح كلّه شفافيّة للمسيح النّور ، بأن يكون «**مصباح النّور**» كما تدعوه الكنيسة ، فلا يلتفت الناس إليه بل إلى **النور** الذي من خلاله يشعّ ، لقد أراد أن يكون «صوت الكلمة» ، والصوت ليس له أهميّة بحدّ ذاته ، إنما أهميّته إنه يَنقُل الكلمة بنبرة تهزّ القلوب . وكما يضمحلّ الكوكب السَحَري عند شروق الشمس هكذا توارى يوحنا وراء نور المخلّص.

المشهود له

ولأنّ يوحنا أفرغ هكذا ذاته ، فقد حَظِيَ بأن يمتلىء من المجد الإلهي وبأن يَشهَد له الرب نفسه شهادة تغني عن كل مديح : "الحقّ أقول لكم أنّه لم يقُم في مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان" (متى ١١:١١).

ولذا رتّلت الكنيسة : «تذكار الصدّيق بالمديح ، وأما أنتَ أيها السابق فتكفيك شهادة الرب فإنّك ظهرتَ في الحقيقة أشرف كلّ الأنبياء إذ استحققت أن تعمّد في المجاري الذي كرزوا هم به. ومن ثمَّ ناضَلتَ عن الحقّ وبشَّرتَ مسروراً الذين في الجحيم بظهور الإله متجسداً يرفع خطيئة العالم ويمنحنا عظيم الرحمة». ووضعت أيقونته في كنائسنا الروميّة الأرثوذكسيّة في المرتبة الثالثة بعد أيقونة السيّد المسيح وأيقونة والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم.

ويعتبر القدّيس يوحنا المعمدان الوحيد من بين جميع القدّيسين

السيّد المسيح ، والدة الإله العذراء ، والقديس يوحنا المعمدان في كنيسة آجيا صوفيا للروم الأرثوذكس في مدينة القسطنطينيّة

الذي تحتفل له الكنيسة بعيد الحبل به ، وكذلك بعيد مولده الكريم.

أما الأعياد التي تحتفل بها الكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة للقديس يوحنا المعمدان فهي:

١) الحبل به في ٢٣ أيلول.
٢) تذكار جامع له في ٧ كانون الثاني .
٣) الوجود الأول والثاني لهامة القدّيس في ٢٤ شباط.
٤) الوجود الثالث لهامة القدّيس ٢٥ أيار.
٥) مولده ٢٤ حزيران .
٦) قطع رأسه في ٢٩ آب.

صلاة

فيا ربّ ، يا من دعوتنا لنكون شهوداً لك ، قائلاً "ستكونون شهوداً لي ..." (أعمال ١:٨) ، هَب لنا أن نسلك على منوال شاهدك يوحنا . أعطنا الغيرة المتوقّدة والجرأة في إعلان حقّك . أعطنا أن لا نسعى إلى زعامة وسيطرة مهما كانت خفيّة ، مستترة ، وأن لا تجعل من شخصنا صنماً ، وأن لا نقيم ذواتنا حواجز بين الآخرين وبينك ، إجعلنا فقط علامة نيّرة ترفع الأبصار إليك .

يا رب ، لقد كان همّ يوحنا أن يمهّد الأتصال بين الناس وبينك ، لذلك أشار إليك فتبعك تلميذاه أندراوس ويوحنا ومكثا عندك وأقاما معك حواراً تقرّر به مصيرهما (يو ١:٣٥-٣٩). أعطنا أن نفهم نحنُ أيضاً أنّ مصير النفوس يتقرّر في ذاك الحوار الشخصي ، الخفيّ ، معك ، وأن نفسح المجال لحوار كهذا بينك وبين كل من أعطي لنا أن نهتم بأمرهم لكي يؤخذوا بنورك وحلاوتك ويمجّدوك معنا إلى الأبد. بشفاعة سيّدتنا والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم ، وسابقك يوحنا وجميع قديسيك . آمين

شهداء الكنيسة الأوائل في فلسطين ـ للمؤرّخ يوسابيوس القيصري

قد يظن البعض أن الشهيد حينما يواجه حُكم الموت يفقد فلسفته في الحياة ودعابتها المقدّسة ـ إن صَحَّ هذا التعبير ـ كأن يتجهّم مثلاً ويصرُّ بأسنانه ويضيق ذُرعاً بمضطهديه. ولكن أمامنا تسجيلاً **للمؤرّخ الكنسي يوسابيوس القيصري** عن شهداء مسيحيين في أيام اضطهاد مكسيميَنوس (في القرن الرابع)، يرفع جداً من مفهوماتنا عن سيكولوجيّة الشهيد ويوضح لنا قدرة النفس المسيحيّة التقيّة على الإرتفاع أيضاً بمفهوم الموت من أجل الإيمان المسيح.

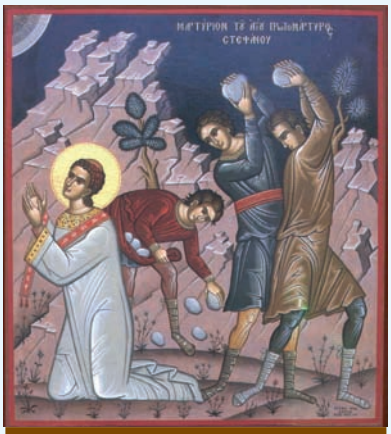

القديس استفانوس أوّل الشهداء

ونحنُ نحسب هذه القصّة من روائع الأدب الإستشهادي ، بل هي في الواقع نموذج صالح يلهمنا السلوك والتصرّف ، إذا جدَّ الجدّ ووُهبنا وقوف المخاطر وواجهنا الموت إكراماً لإسم الفادي وتقديساً لحق الإيمان.

المسيحيون في ساحة الإستشهاد

يقول يوسابيوس:

﴿ كانوا كلّهم إثني عشر ، فقد شاءت النعمة أن يكونوا شبيهين بعدد الرُسُل. كان رئيسهم بمفيليوس ـ وهو عزيز عليَّ جداً ـ هو الوحيد بينهم الذي أُكرِمَ برتبة القسوسيّة في قيصريّة ، وقد اشتهر بكل فضيلة كلّ أيام حياته ، فقد نبذ العالم واحتقره بعد أن أشرَك المحتاجين في ممتلكاته ، إذ كان قد ازدرى بكل الأمجاد الأرضيّة وَعَشِقَ الحياة النسكيّة ، وفاق الجميع في عصرنا بصفة خاصّة من جهَة درايته في الأسفار المقدّسة ، والجهد الذي لا يَكِلُّ في كل ما يُعهد به إليه ومساعدته للمقربين إليه ومعارفه.

وقد ظَلَّ مع زملائه المسجونين في سجن قيصريّة سنتيَن ، وفي تلك الأثناء وصل إلى أبواب قيصريّة بعض الأخوة المسيحيين القاطنين في مصر ، الذين كانوا متغرّبين في كيليكية يعملون في مناجمها. وعند مَدْخَل أبواب قيصريّة سألهم الحرّاس عن شخصيتهم وعن جنسيتهم وديانتهم ، فأجابوا بالصدق أنهم "مسيحيون مصريون". فقبض عليهم الحرّاس كأنّهم مجرمون متلبّسون بجريمتهم وكانوا خمسة!

ولدى مثولهم أمام الطاغية أظهروا منتهى الجرأة ، فزجّوا بهم في السجن في الحال ، وفي اليوم التالي قُدّموا إلى القاضي مع الإثني عشر الفلسطينيين أي بمفيليوس ورفقاؤه السابق ذكرهم.

وابتدأ القاضي باختبار ثبات المسيحيين الذين لم يلينوا إزاء أنواع التعاذيب العديدة. وعندما سأل زعيم المصريين عن إسمه أعطاه اسم نبيّ بدلاً من اسمه. لأنه جرَت العادة بينهم تلقيب أنفسهم بأسماء أنبياء غير أسمائهم الوثنيّة التي كانوا قد تَسمُّوا بها بواسطة والديهم، فكنت تسمعهم يلقّبون أنفسهم : إشعياء ، إرمياء ، إيليا ، صموئيل ، دانيال ، مُظهرين أنهم في الحقيقة ليسوا بالأعمال فقط هم للّه ، بل بالأسماء أيضاً التي حملوها.

ولكن لما سَمِعَ فرمليانوس اسماً كهذا لم يفهم قوّة المعنى من ذَلك ، فسأله عن اسم مملكته ، فما كان من الشهيد إلاّ أن أعطاه جواباً آخر مثل الأوّل قائلاً: إنّ أورشليم العليا هي وطنه قاصداً بذلك قول بولس الرسول: «وأما أورشليم العليا أُمنا جميعاً فهي حُرّة» (غل ٤:٢٦) ، وأيضاً: «قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة اللّه الحي أورشليم السماويّة» (عب ١٢:٢٢).

ولكن لأنّ القاضي كان يظن في الأرضيات، سعى باجتهاد أن يعرف أي مدينة هي هذه؟ وأين موقعها في العالم؟ ولجأ إلى التعذيب ليعرف الحقيقة ... وأما الشهيد وكانت يداه مربوطتين خلف ظهره ورجلاه في المقطرة ، فردَّ عليه أنه يقول الحق ، وإذ سُئل مراراً عن المدينة التي يقول عنها وعن موقعها ، قال: إنها وطن لَلأتقياء فقط ولا يدخلها آخرون ، وأنّها تقع ناحية الشَرق عند مشرق الشمس بعيداً جداً .

وكان يتكلّم ـ وهو تحت التعذيب ـ بفلسفة لم يستطيعوا أن يزحزحوه عنها قيد شعرة بكل التعذيبات التي أوقعوها عليه. ولم تظهر عليه علامات الإنقباض أو الشعور بالآلام.

وإذ تحيّر القاضي جداً لم يطق صبراً ، ظانّاً أن المسيحيين معتزمون تأسيس مدينة في مكان ما معادية للرومانيين ، فاستعلم كثيراً عن هذا وسأل بإلحاح أين توجد تلك البلاد التي في الشرق؟ وقد مَزَّقَ جسم الشاب بجلدات قاسية ، وعذّبه حتى يكشف له الأمر ، ولكنّه لم يتزحزح عن إصراره على أقواله حتى مات !!! ﴾

✚ سلامٌ لك أيها الشهيد المداعب ، وسلام لنفسك الرزينة الواثقة من مسيرها ومن مقصدها !

✚ سلامٌ للروح التي استطاعت أن يسخر من المحنة وتسمو فوق تعذيبات الموت لتنطق بكلمات الصحو الروحي وهي في آخر لحظات الإنطلاق !

✚ وسلام لكل جروحك ولكل رضوضك ، ولكسرك ونزيفك ودمك ، لأنّها صارت إلهاماً لنا للثبات ؛ ودافعاً ملحاً لركوب الصعاب !

العهد القديم في الكتاب المقدّس (١٢)

تتمة من العدد السابق

تجربته في شكيم:

يعبر يعقوب الأردن إلى كنعان ويذهب إلى شكيم ، ولم يقل اللّه له أن يذهب إلى شكيم بل حينما ظهر له في بداية رحلة العودة أوصاه أن يذهب إلى بيت إيل (تك ٣١:١٣)، وربما جذبته مدينة شكيم للإستقرار بها لأن بيت إيل منطقة تلال ، وعندما وصل إلى شكيم نصبَ خيمته أمام المدينة واشترى قطعة أرض من حمور أبي شكيم لإقامته فيها.

لكن يعقوب بذهابه إلى شكيم جَرَّ على نفسه تجربة قاسية مريرة إذ قد إغتُصبَت فيها إبنته دينة ، وإنتقم أولاده من شكيم أخذاً بالثأر (تك ٣٤) ، وتلبّدت السماء بالغيوم إذ لم تَعُد الظروف طيّبة في المكان الذي اشتراه وعليه أن يرحل قبل أن ينتقم منه أهل شكيم وهو غريب وقليل العدد ، وقد أدرَك يعقوب أن عائلته ليست نقيّة ، ولذلك حلّت عليه هذه الأتعاب، لذلك وقف الرجل البّار في مراجعة دقيقة ، وقبل أن يغادر شكيم عليه أن يتخلّص من كل ما يُغضب اللّه فجَمَعَ كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم وطمرها تحت البطمة (شجرة البُطم) ، وتخلّص من تلك الأوثان التي أتت معه من حاران قبل أن يصعد إلى بيت إيل ويبني مذبحاً للرب.

في بيت إيل:

لم تكن بيت إيل في حدّ ذاتها جاذبية فهي سلسلة من التلال تمتد من الشمال والجنوب تنحدر سفوحها من جهة الشرق إلى نهر الأردن ومن جهة الغرب إلى مُدن مزدحمة بالسكان ، ولكن بيت إيل كانت بالنسبة ليعقوب هي أقدس بقعة في الأرض فهي تحمل ذكريات الليلة الأولى التي هرب فيها من وطنه ورأى ذلك السلّم الملائكي (تك ٢٨:١٢) وفيها بنى جدّه إبراهيم مذبحاً للرب (تك ١٢:٨) ، فنقَل يعقوب خيامه إلى بيت إيل، ثم سار متتبعاً خطوات إبراهيم إذ سار في طريق الجبل الأوسط متجهاً نحو حبرون ، وبين بيت إيل وحبرون وهم في الطريق ماتت دبورة مُرضعة رفقة المحبوبة التي رافقت سيّدتها الشابة ، فكان الحزن عليها شديداً حتى دُعَيت البلوطة التي دُفنت تحتها (ألون باكوت) أي بلوطة البكاء.

بيت لحم إفراته:

بينما كان الرَكب مُرتحلاً في الطريق وقُرب بيت لحم إفراته ماتت راحيل وهي تلد بنيامين الإبن الثاني عشر ليعقوب ، فقد تعسّرت ولادتها ، وعند خروج نفسها عند موتها دعت المولود بإسم إبن أوني (إبن حُزني) ودفنها زوجها الحزين هناك في طريقه إلى إفراته ولا يزال قبرها إلى اليوم ، وفي ذات المكان كانت مذبحة بيت لحم حيث قتل هيرودس أطفالها (مت ٢:١٧)، ففي المكان الذي حزنت فيه راحيل حزناً عظيماً ودعت إبنها ابن الحزن كانت إمهات أطفال بيت لحم الشهداء في حزن مثل راحيل ، وكُنَّ يقمن بالقرب من قبر راحيل والكثيرات منهن من سلالة راحيل لذلك تشبه حزنهن بحزنها.

العودة إلى حبرون:

بعد رحلة الغربة الشاقة عاد يعقوب إلى ممرا ـ حبرون ودعى ليلقي نظرة الوداع على أبيه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، والتقى مع عيسو للمرّة الثانية عند دفن أبيهما الهَرم ، حيثُ دفناه في مقبرة الآباء بمغارة المكفيلة ، وافترق الأَخوانَ مرّة أخرى لأنّ أملاكهما كانت كثيرة عن أن يسكنا معاً ، وظلّ يعقوب في حبرون حيث سكن إبراهيم وإسحق قبله وعاش فيها سنين كثيرة من حياته (تك ٣٥:٢٧) ومع أن أراضيها كانت خصبة إلا أنها لم تتسع لمواشيه.

الغربة في مصر:

عاش يعقوب سنوات حياته على النقيض من حياة أبيه إسحق الذي عاش في ركن النقب ، فقد جال يعقوب في الأرض وعرف الشرق الأدنى القديم من مراعي فدّان آرام فيما وراء الفرات في الشمال ، حتى دلتا وادي النيل الخصبة في الجنوب حيث تغرّب مع عائلته في مصر وهي مسافة تبلغ نحو ٦٠٠ ميل (٩٦٥كم) ، وعاش يعقوب حياة الإيمان ؛ يسير على درب أبيه وجدّه ، وقد اكتسب خبرات كثيرة إذ اعترك الحياة بكل أحوالها فغامر وجاهد وتغرّب ، لكنه كان حينما ينتقل من مكان إلى مكان في أرض الموعد كان يبني مذبحاً للرب فيذكر بذلك عهد اللّه مع إبراهيم وإسحق ليصبح إسرائيل أب شعب اللّه في القديم ، وقد إمتدّ به العمر إلى مئة وسبع وأربعين سنة قضى سبعة عشر عاماً الأخيرة منها ينعم بخيرات مصر ومجد ابنه يوسف ، وقد شاهد عظمة مصر في مسلاتها وأهرامها وكافة قصورها وهياكلها الضخمة والفاخرة ، لكنه لم يشأ أن يُدفَن في تلك المقابر (وادي الملوك في طيبة) التي يفتخر بها تاريخ المصريين ، بل كانت وصيّته الأخيرة أن يرقد بجوار آبائه في مغارة المكفيلة بأرض الموعد ، تلك وإن كانت لا تُقارن بعظمة قبور المصريين لكن هناك عظام الأباء الذين يضطجعون على رجاء الإيمان «ففي الإيمان مات هؤلاء أجمعين » (عب ١١:١٣).

يتبع في العد د القادم

العفة

نقاوة الطهارة

للأب أنتوني م. كونياريس كاهن كنيسة الروم الأرثوذكس
في مدينة مينيابوليس - الولايات المتحدة

« لأنّ كان لكِ خمسة أزواج، والذي لكِ الآن ليسَ هو زوجك. هذا قلتِ بالصدق» (يوحنا ٤:١٨)

الجنس الآمن - وطريق الله

أتساءل كيف سوف يصف المؤرّخون عصرنا هذا. هل سيكون العصر الذرّي؟ أم العصر النووي؟ أم العصر التكنولوجي؟ أم كما وصفه أحدهم: **العصر القذر**.

يوجد اليوم وعيٌ عظيمٌ ومجهودٌ خارقٌ لنظافة البيئة: الهواء الذي نستنشقه والماء الذي نشربه، الأنهار والبحيرات والمحيطات، وكلّنا يحاول تنظيف القاذورات من الطعام، ومع ذلك فنحن نخشى أن يتم فعل القليل جدًا في المقابل **لتنظيف النتانة الأخلاقية لهذا العصر.**

نحن نعيش في عصر أصبح كل شيء فيه جائزًا، حيث فقد الزنا عاره، حتى قال أحدهم: "توقعت أن يحدث كل ما يمكن أن يصدمني كي لا أصدم فيما بعد"، وينادي مذهب اللذّة – وهو مذهب ينادي أصحابه بالسعي وراء اللذّة أيًا وأينما كانت – بأنه: "عليك أن تتجوّل لتحصل كل مرّة على المتعة التي تريدها".

يحاول الكثيرون الحصول على هذه المتعة من خلال العلاقات الجنسية المختلطة غير الشرعيّة ، فعندما يشعرون بالعزلة وسط بشر لا حصر لهم ، فأنهم يبدأون في سلسلة من اللقاءات الجنسية، التي تتركهم بعد ذلك، وقد آلوا إلى ما كانوا عليه من قبل: مُنعزلين، محبوسين في قفص **من الصمت المميت، والتقارب الزائف ، والفقرالروحي، والفراغ الداخلي، والملل، والقرف والنفور.**

إنّ كل هذه اللقاءات الفارغة تذكّرنا بكلمات يسوع: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش ثانية، ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد" (يو ٤:١٣ و١٤).

قال قس عائدٌ من سان فرانسيسكو بعد أن أدى عدّة خدمات لمرضى الإيدز :"إنهم يرغبون في الجنس بصورة شنيعة، إنه يقتلهم". إلا أنّ هناك بعض طلبة المرحلة الثانوية في بعض المدن قد أدركوا الوضع جيدًا بعد أن بلغتهم الرسالة وأدركوا أنّ الجنس ليس متعة على الإطلاق عندما يكون السبب في موتهم.

ومع ذلك، فليس الجنس هو الذي يقتلهم، لأنّ الجنس هو عطيّة من اللّه، ولكن الخطأ هو في سوء استخدام الجنس، لا يظن أحد أنه يمكنه أن يُمارس الجنس بعيدًا عن وصايا اللّه، إنه بذلك يتجاهل الإرشادات التي **وضعها مخترع الجهاز**، ويترُك عنه دليل التعليمات.

عندما يصبح خاتم الزواج مجرّد جوهرة، ولا يكون فيما بعد رمزًا أبديًا، فليس الإنسان فقط هو الذي يخسر نفسه بل والمجتمع أيضًا. لقد أصبح من الممكن لعالم اليوم أن يقول للمرأة التي أُمسكت في ذات الفعل: "اذهبي في طريقك، إنّ الجنس لم يعد خطيّة بعد"، أمّا يسوع فقال: "اذهبي ولا تخطئي أيضًا" (يو ٨:١١).

يقول يسوع: "إنّ جسدك مُقدّس وطاهر وهيكل لحضوري، فمارس العفّة حتى الزواج، وكُن أمينًا لشريك حياتك حتى الموت".

العفة تبدأ مع تقديس الفكر، بالهروب من الشر والمناظر والكلمات القبيحة والأخبار الشرّيرة بعزيمة وتصميم حتى الموت، لأنّ أقل تهاون سيدفع عنه الإنسان بعد ذلك ثمنًا باهظًا من الندم والجهاد للتخلّص من الآثار والنتائج.

يوجد رجاءٌ للخطاة

عندما كتب القدّيس بولس إلى المسيحيّين الذين في كورنثوس الذين عاشوا في مدينة غاصّة تمامًا بالقذارة الفاضحة العلنيّة وخاضعة للسيطرة الجنسيّة، فإنه تكلّم مباشرة وصوّب على الأمر بصرامة وقال: "أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت اللّه. لا تضلّوا، لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طمّاعون ولا سكّيرون ولا شتّامون ولا خاطفون يرثون ملكوت اللّه" (١ كو ٦:٩، ١٠)، إلاّ أنّ القديس بولس لم يتوقف عند هذه الجملة السلبية التي تحرم من دخول الملكوت، بل أعطى أملاً للخطاة التائبين عن كل أنواع الخطايا فأضاف: "وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم بل تقدّستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا". (١ كو ٦:١١) ، ثم استمرّ في الكلام ليقول إنّ الجسد غير مخلوق للزنا بل هو هيكلٌ للروح القدس "ألستم تعلمون أنّ أجسادكم هي أعضاء المسيح.. أم لستم

تعلمون أنّ جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من اللّه وأنّكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتريتم بثمن" (١ كو ٦:١٥ و١٩ و٢٠).

لستم لأنفسكم

إنّ جسدك ليس ملكك، بل هو معطى لك من اللّه، ولكن ماذا عن الذين يستخدمون أجسادهم كما لو كانت ملكًا لهم، ويفعلون ما يروق لهم، ويضيّعون عطيّة الطهارة السامية؟ ماذا عن هؤلاء الناس؟

هناك غفران لهؤلاء الناس عند صليب الرب يسوع حيث أخذَ جميع خطايانا على نفسه وطهّرها بواسطة دمه المانح الحياة، الذي نتناوله الآن في سر الإفخارستيّا، وهناك اليوم إمكانيّة النقاء والقداسة والاكتمال: "خليقة جديدة" مكتملة للمستعدّين أن يقبلوها. اللّه لن يستعيد بتوليّة الإنسان ولكنه يتسعيد عفته وفضيلته. اللّه يدعونا للتوبة حتى نعود إلى الأذرُع التي لأبينا السماوي الذي ينتظرنا ليحتضنّا ويسامحنا.

هل الجنس غير المشروع أصبح أيقونتنا الجديدة؟

دعني أشاركك جزءًا من مقال قرأته مؤخرًا:

إنّ المسيحيّين ليسوا متصنّعي حشمة أو متكلّفي حياء، نحن نحب الجنس ونمجده ونشكر اللّه عليه، ولكن ـ وهنا نختلف جذريًا مع مجتمعنا ـ نحن لا نرى الجنس كحق أو غاية في ذاته، بل ككيان يحتاج إلى ترويض وتهذيب. عندما نرفُض تعدّد العلاقات أو التبادلات الأخرى المختلفة في الزواج، فنحن نفعل ذلك دفاعًا عن الجنس الصحيح، إنه ليس من قبيل تكلّف الحياء أو الاحتشام أنّ الكتاب المقدّس يحض ويُدافع عن الزواج الدائم المُخلص، بين رجل وامرأة، ويدعو عن اقتناع للتخلّي عن الحريّة المُفرطة والحب الخليع، لأنّ الغاية من الجنس إنّما تأتي فقط من خلال علاقة زواج مكرّس.

إنّ الرؤية المسيحيّة للحب الزوجي الثابت هي قويّة جدًا، حتى إنّ الضيقات تصبح جذابة وأحيانًا ينتج عنها مزيدٌ من الحب والودّ. إنّ الشيء الحقيقي هو الذي ينجح حقًا، والنوع والطراز الحقيقي للجنس هو الذي ينمو ويتأصّل ويتعمّق ويُسلّم نفسه للجيل التالي.

ربما نُريد أن نؤسِّس علاقات زواج أمدها طويل لتكون هي: "أيقونتنا" عن الجنس. إنّ الأيقونة هي صورة ننظر إليها كنموذج، وندرسها ونتأمّل فيها لأنها تكشف بعضًا من ملامح مجد اللّه في العالم. ولكن للأسف فقد جعل العالم من الجنس أيقونته، ولهذا السبب تجد الجنس في كل قوائم المجلات، وفي كل إعلان وفي كل فيلم يُوجَّه للمراهقين. وهذه الأيقونة تُصوِّر فتاة خليعة أو شابًا مفتول العضلات. إنها تمجّد الجنس وتحتفي به للإرضاء الشخصي ولاستغلال الآخرين.

ولكن انظر إلى زوجين يحتفلان بذكرى زواجهما الخمسين، ودعنا نجعلهما أيقونة الجنس الحقيقيّة في نظرنا.

قد يكون جسدا هذين الزوجين مُنحنيين ضعيفيْن أو شعرهما نحيلاً أو اختفى كليّةً، ولكن مع ذلك نرى فيهما شيئًا ما يجعلنا نُحييهما. إنه من خلالهما، ومن خلالهما فقط، من خلال ذلك النوع من الحب المكرّس، يشعُّ شيءٌ من مجد اللّه.

هذا هو الجنس الذي يجب أن نبجّله ونحتفي به، ولهذا السبب نحن الذين لدينا: "الأسس والقواعد الإنجيليّة له"، علينا أن نقول: "لا"، ونرفُض أشياء كثيرة يريد الآخرون أن يفعلوها ويمارسوها. خُلق الجنس لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل الجنس. مثل هذا المثل الأعلى هو مجيدٌ جدًا، حتى أنه يجب علينا أن نتمسّك به كإمكانية متاحة لنا. أن نفعل أي شيء غير هذا هو أن نسلب الناس لمحة من اكتمال قصد اللّه للخليقة.

العـفة

إنّ علاج الخطايا الجنسيّة اليوم موجودٌ في كلمة مسيحيّة قديمة، بالكاد نسمعها اليوم، إنّها: "العِفة".

العفّة تعني عدم ممارسة الجنس قبل الزواج، وممارسة الجنس في الزواج مع شريك الحياة وليس مع أي شخص آخر. كما تعني العفّة أيضًا ضبط النفس، كما تعني أنك لست حيوانًا تحكمه الغريزة، ولكن أنت ابنٌ للمسيح مخلوقٌ على صورته، وأنك مسئولٌ أمام اللّه عن عطيّة الجنس التي منحها لك.

العفّة هي الحلُّ الوحيد الفعّال بنسبة ١٠٠٪، فهي لا تُكلِّف شيئًا، وليست لها تأثيرات ضارّة، كما تجعلك مُتحكمًا ومنضبطًا في حياتك. العفّة هي حلّ اللّه لعدوى وعذاب الإيدز وكافة الأمراض الجنسيّة.

يكتب العالم النفسي س.إس.ليوس فيقول: أصبحت العفة أقل الفضائل المسيحيّة المقبولة أو المستحبّة، ومع ذلك فليس بديلٌ عنها. إنّ القانون المسيحي القديم هو: "إمّا الزواج بإخلاص تام لشريك الحياة، وإمّا الامتناع التام"، والآن أصبح هذا الأمر صعبًا جدًا ومضادًا لغريزتنا، ومن ثم أصبح علينا أن نُقرّر: إمّا أن تكون المسيحية خطأ، أو أنّ غريزتنا الجنسيّة ـ كما هو حادث الآن ـ قد انتهت إلى الخطأ، إمّا هذا أو ذاك.

اللّه قادر أن يخلّص إلى التمام

إنّ قوة سيادة الإنسان على نفسه هي التي يفتقر الإنسان إليها، والدليل على ذلك هو أنه كيف صار للإنسان أن ينحطّ بسهولة هابطًا، وصار من السهل أن نجد أناسًا اليوم يعرفون أن يقولوا: "لا أستطيع... لا أستطيع أن أضبط هواي... لا أستطيع أن أقاوم التجارب... لا أستطيع أن أعيش حياة طاهرة في مجتمع اليوم.. لا أستطيع أن أذهب إلى الكنيسة كل أحد... لا أستطيع أن أصلّي... لا أستطيع أن أكون مسيحيًا منتصرًا... لا أستطيع... لا أستطيع... لا أستطيع".

من أين يمكن للإنسان أن ينال القوة التي تمكّنه من قهر ما هو غير ملائم، قهر الضعف والخنوع؟ ليس من طريق سوى ارتباطنا والتصاقنا بآخر كُلّي القوة، إنه اللّه في شخص المسيح.

قصّة

وقف أب يلاحظ ابنه وهو يحاول هباءً في تحريك صخرة. لقد حاول وحاول، ولكن لم يستطع أن يزحزحها. فسأله والده: "يا ابني، هل أنتَ متأكد أنك تستخدم كل قوّتك؟"، فقال الولد: "طبعًا". فقال له الأب: "ولكنك لم تدعُني لمساعدتك".

كم من مرّة ومرّات حاولنا جاهدين أن نزيل من حياتنا خطية أو شهوة استعبدتنا. حاولنا ولكن هباءً، وذلك بسبب أننا اعتمدنا تمامًا

على قُوتنا الهزيلة الضئيلة. لقد نسينا أنّ لنا أبًا سماويًا كلي القوة، وهو يرغب في أن يأتي إلينا ويساعدنا بقوة هائلة، وهو يقف بلهفة منتظرنا أن نسأله عن هذه المعونة الفائقة ، وهو الذي يقول عنه القديس بولس: "القادر أن يُكمِّل كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع" (في ٤:١٩).

هذا ليس مجرد كلام، إنما هو خبرة عملية واقعية حقيقية لأناس إنما اختبروا قوة المسيح في حياتهم.

نحن نؤمن بإله قادر. قادر أن يقهر الخطية. قادر أن يمنح حياة جديدة. قادر أن يستجمع قطع الحياة المحطّمة ويجعلها سالمة وصحيحة مرة ثانية. إنه قادرٌ أن يفعل هذا إن سمحنا له، **إن كنا نتوب ونبحث عن غفرانه**. كيف يمكننا أن نستقبل هذه القوة الإلهية لنسود على أنفسنا؟ ليس إلاّ طريق واحد، بالتصاقنا وارتباطنا بربنا يسوع المسيح، القادر، الكلّي القوة. **ولكن كيف يمكننا أن نلصق أنفسنا بالمسيح؟**

بالصلاة:

الصلاة فيها قوة، موسى صلّى، فانشطر البحر. إيليا صلّى ؛ فنزلت المياه على أرض يابسة جافة. دانيال صلّى ؛ فانسدّت أفواه الأسود. بولس وسيلا صليا؛ فانفتحت ابواب السجن. يسوع صلّى في جثسماني؛ فظهر له ملاك ليقويه. الصلاة توجد فيها قوة.

كلمة الله :

كما توجد قوة في كلمة اللّه. قرأها أغسطينوس فتحوّل. وآخرون قرأوها؛ فوجدوا أنها الباب الى الحياة الجديدة. وآخرون قرأوها؛ فوجدوا قوة لحياتهم اليومية. كتب واحد يقول: "**كلمة الله لها أيد وأرجل، تجري وراء الإنسان وتُمسك به بإحكام، اجعلها حرة طَليقة وانظر كم من أشياء عظيمة سوف تحدث**".

سر التناول:

وكما توجد قوة في الصلاة وقوة في كلمة اللّه، ولكن بالأكثر جدًا أعظم منبع للقوة للمسيحي هو في سر التناول "الحق الحق أقول لكم" إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير، لأنّ جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" (يو ٦:٥٣-٥٦). هنا القوّة، هنا القدرة، هنا الطاقة التي تضعف أمامها طاقة الذرّة إذا ما قورنت بها وتصير لا شيء وتافهة.

نصيحة روحيّة:

احترس من الاستهتار بحياة الطهارة والتعفُّف، فهذا الاستهتار سيكون له عواقبه الوخيمة، وتكون كمن يُلقي نفسه في هوّة الهلاك.

لا بدّ أن نقول بشجاعة: "**لا**" للخطيّة، ولكل ما يُدنِّس الجسد والذهن والروح، واحذر الاستخفاف بخطورة السقوط! لأنّ هذا الاستخفاف يجعل النفس تتساهل مع الخطيّة، وكن على علم بأنّ كثرة السماع والمشاهدة للمناظر الخليعة المُعثرة يجعل للدنس جذورًا دفينة في القلب.

قد لا تفطن وقتها لخطورتها وأثرها البعيد، حيث تنطبع الكلمات والصور على الذاكرة، ومع الأيام تتراكم تصوّرات الخطيّة وأفكار النجاسة بعضها فوق بعض، حتى تصير جذوة نار تُؤجِّج لهيب الشهوة في الجسد كله، وحينئذ يكون السقوط المرير، ومع هذا السقوط يتولّد عبء الشعور بالذَنب الذي يستفحل أمره مع الأيام ويتحوّل إلى كابوس مزعج للنفس ومُبدِّد لهدوء القلب وسلام الروح.

لذلك **لا تستهن بالصوّر والمناظر العارية والكلمات البذيئة والمشاهد الدنسة إذا وقعت عليها عيناك واستحسنتها، لأنها سوف تطاردك** وتغريك للتنازل والتلذذ بها أكثر، فإذا تهاونت معها في البداية، فسوف تتسلّط عليك في النهاية بالرغم من إرادتك، فتُهين طهارتك، وتُوسِّخ ملابسك ونيّتك، وتُذلُّ عقلك وتوردك موارد الهزء، وتجعلك آلة في يد الشيطان، ترفضها فتتبعك، تجحدها فتتمسّك بك، تنساها فتتمثّل أمامك ولا تتركك حتى تدفع لها ثمنًا باهظًا من وقتك وصبرك وعزيمتك.

إنّ كثيرًا من شباب هذا الجيل باتوا يتتلمذون على أيدي مُعلّمي الانحلال في مختلف وسائل الإعلام، فماذا ننتظر من ذهن مشبْع بأفكار الشر وصور الانحلال سوى السقوط المريع، وفقدان العفّة، وخسران كنز الحياة، وضياع الميراث الأبدي.

احترس لنفسك؛ إنّها مجازفة خطيرة فالعدو ماكر، ربّما يعرض بضاعته مكشوفة، أو ربما يُغلّفها بغلاف برّاق ليجذب الضحايا إلى شباكه ويغريها على السقوط.

واعلم تمام العلم أنّ الخطيّة ثمرة مُحرّمة، لها بريق جذّاب، ولكنها آخرها علقم، فحلاوتها ممزوجة بمرارة، وعسلها مخلوط بالسمّ.

الخطيّة حملٌ ثقيلٌ على الضمير، والشعور بالذنب مؤذ للنفس، والساقط في الخطيّة ـ بدون توبة ـ يستمر في العتمة على غير هداية ولا دراية، ومُجمل حياته تكون كآبة وقلقًا وخوفًا داخليًا، وانقباضاً نفسيًا في الليل والنهار. كما أنّ السقوط في خطايا الدنس يُحوِّل نضارة النفس إلى ذبول، ويصير الجسد أتونًا مستعرًا يوقد الشهوات، يحرق نفسه بنفسه إلى أن تضمحل قوى الإنسان ويذهب نور عينيه بلا رجعة! **وكم من أجساد أضمرتها الشهوة وأسكنتها القبور وهي في ريعان الشباب بسبب استمرائها للنجاسة**.. ناهيك عن فتور العلاقة مع اللّه وانقطاع الدالّة التي يقف بها الإنسان أمام خالقه.

لا تنسَ، أنّك بقدر ما تهرب من مجال الدنس والعثرة، وتُشغّل عقلك وجسدك في عمل مفيد بناء ، بقدر ما تفلت من حِيل العدو المخادع وتنجو من فخاخه.

وعليك أن تتذكّر دائمًا، أنّ السيرة المقدّسة تُكرِّم اللّه وتمجّده، والنمو الروحي معناه النمو في حياة القداسة وفي معرفة اللّه والثبات فيه أكثر. ومع هذا الثبات يظهر الثمر الروحي في حياتك. إن كل الذين شربوا من نبع الرّحمة، وارتووا من ينابيع الخلاص والغفران، أثمرت حياتهم عفّة ونقاء وفرحوا بالرب وابتهجوا بخلاصه. وهؤلاء الذين فرحوا بالرب وذاقوا حلاوة عشرته، انفطمت نفوسهم من شهوات الدُّنيا وأدناس الجسد، ذلك لأنّهم شبعوا من محبّة اللّه وارتووا من دسم نعمته: "والنفس الشبعانة تدوس العسل" (أم ٢٧:٧).

كيف تتحرّر من الخطيّة؟

أوّلاً: الإيمان بقوة الرب يسوع المخلّص:

يستغلُّ عدو الخير جهل الخاطئ بقوّة يسوع، الرب المخلِّص، وبقوّة دمه المُحرِّر والمطهر؛ لكي يقنعه بعدم جدوى التوبة واستحالة الخلاص. هنا يبرز دور الإيمان وقيمته في الخلاص، فبدون هذا الإيمان في قوّة دم يسوع الفادي والذي يُعتبر الخطوة الأولى للتحرّر من الخطيّة، يظل الخاطئ عبدًا للخطيّة، رازحًا تحت نير عبوديّتها.

فمهما كانت ميولك نحو الخطيّة قويّة، ومهما كانت العادات الشرّيرة مُسيطرة عليك، فثق أن اللّه قادر أن يخلّصك ويحرِّرك منها، فتحيا حياة طاهرة بعد أن كنت تئن من عبوديّة الخطيّة ومرارتها. إنّ وعد الرب أمينٌ وصادقٌ: "إن حرّركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحرارًا" (يو ٨:٣٦).

ثانيًا: "قطع كل علاقة تربطك بالخطيّة وأسبابها:

معروفٌ أنّ النفس إذا انفتحت على ملاهي العالم وشهواته ومُسلّياته، فإنّها تتأثّر بسهولة بروح العالم، فيصير الفكر دنيويًا شهوانيًا، كل همّه في نزوات الجسد وملذّات العالم.

إنّ وسائل الإعلام الهدّامة انتشرت الآن وطغَت وصارت بمثابة مدارس للفساد، يتعلّم فيها الأبناء والبنات فنون الرذيلة ودروس النجاسة والانحلال والمجون، ليتخرّج منها جيل مُلتوٍ وشرِّير.

عندما يفتح الإنسان عينيه وأذنيه على البرامج الخليعة، تترسّب المناظر القبيحة والكلمات الماجنة في الذاكرة، فيتشكّل الذهن بحسبما يرى ويسمع، وتلتهب الغرائز وتشتعل، وهذا بالتالي يُؤثِّر على أسلوب الحياة. كل هذا يتحكّم في سلوك الإنسان وأخلاقه وكلماته، ومع الأيام يبدأ السقوط، ويشعر الإنسان أنّه مقيّد بالخطيّة بقيود حديديّة. إن لم يقطع الإنسان كل علاقة له بهذه الأمور بكل إصرار وعزم وجديّة، فلا أمل في التحرُّر أو اقتناء الطهارة.

ثالثًا: التوبة والثبات الدائم في المسيح:

لا يكفي أن نعزم على قطع علاقتنا بأسباب العثرة والخطيّة، لكن يجب أيضًا التوبة الصادقة والاعتراف بكل الخطايا، وأن تكون للنفس شركة مُستمرّة مع المسيح وثبات دائم فيه. عندئذ فقط تتمتّع النفس بالتحرّر من شهوات الجسد، وتفقد شهيّتها نحو الرذيلة، وبقدر ما يشبع القلب ويتلذّذ بعشرة اللّه بالصلاة وقراءة الإنجيل والتنعُّم بالخيرات الروحيّة المذخورة في بيت الآب؛ حيث الأسرار المقدّسة ووسائط النعمة، بقدر ما يعاف خرنوب الخنازير في الكورة البعيدة.

المسيح أوصانا بشدّة: "أثبتوا فيّ وأنا فيكم" (يو ١٥:٤)، لأنه يعلم أننا عندما نُثبت فيه وهو فينا، فإنّ عصارة حياته تسري فينا، فتتجدّد أذهاننا وتتنقّى أفكارنا وتتغيّر حياتنا للأفضل، فنتحرّر من سطوة إبليس ومن سلطان الخطيّة، وتفقد الشهوات الجسديّة والعادات الرديّة وإغراءات العالم جاذبيّتها، كما أنّ هذا الثبات المُستمر يضمن لنا نموًا دائمًا في حياة القداسة والفضيلة التي بدونها لن يُعايِن أحدٌ الربّ.

قصّة

كان شاب يهودي يسكن في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان من أسرة متديّنة محافظة جدًا، رغم أنّهم يسكنون في منطقة تكثر فيها الإغراءات والخطايا، لكن الشاب كان مواظبًا على المجمع اليهودي كل سبت، وعلى تنفيذ أوامر ووصايا الناموس بقدر الإمكان.

كان الشاب يعمل مديرًا لأعمال سيِّدة ثريّة جدًا، أوكلت إليه إدارة أعمالها وثروتها الطائلة، وكان أمينًا في عمله باذلاً نفسه وجهده على قدر طاقته وفوق الطاقة أحيانًا.

كانت السيِّدة في الأربعينيّات من عمرها، تحيا حياة الترف المطلق، تحيا في خلاعة حسب بيئة الأغنياء وعوائدها، وكان الشاب في الثامنة والعشرين من عمره.

حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد تعلّقت السيِّدة بهذا الشاب وأحبّته حبًا شهوانيًا وبدأت تغريه، بينما لم يكن الشاب يُفكر مطلقًا في مثل هذا الأمر، فكان يتحيّن كل فرصة للهروب منها، أو أن تبقى معه على انفراد. ولمّا ازدادت في الإلحاح وازداد في الرفض، عزّت عليها كرامتها، فابتدأت سلسلة من المضايقات التي كان يحتملها بهدوء.

وذات يوم ودون سابق انذار، وجد البوليس يقبض عليه ويلقيه في السجن. لقد لفقت له هذه المرأة هي ومحاميها تهمة تبديد أموال وإهمال جسيم. كانت التُهم كاذبة، لكن السيِّدة كانت ذات نفوذ وصاحبة رشاوى وأموال.

دخل الشاب السجن وهو في ضغطة نفسيّة شديدة من الإحساس بالظلم، وانتظر حتى يكمل التحقيق وهو بلا ملجأ ولا منفذ.

حدث أن مرّ على السجن أحد القسوس كان يزور مسجونًا، فقابل الشاب وتحدّث معه وترك له إنجيلاً، ولكنه يهودي ولا يؤمن بالإنجيل، ثم هو مُتديِّن ومتعصِّب ليهوديته.. ولكن الوقت في السجن يمر ببطء والملل قاتل. مدّ الشاب يده وأمسك بالإنجيل وبدأ يقرأ... كانت مُعجزة إشباع الجموع، ثم محنة التلاميذ في السفينة التي كادت تغرق، ثم المسيح يأتي إليهم ماشيًا على الماء فينتهر الريح فتسكُت الأمواج بسلطان عجيب. تأثّر قلب الشاب تأثرًا عجيبًا لم يعرفه من قبل، ووجد نفسه يُصلّي صلاة غير معتادة كان يتحدّث فيها مع يسوع وهو يقول له: "إن أخرجتني من هذا الظلم اليوم، صرت لك عبدًا كل الأيام".

لم تمض إلاّ ساعة واحدة إلا وطلبه النائب العام ليتسجوبه ببعض الأسئلة الدقيقة، ثم أفرج عنه في الحال وبلا كفالة.

لم يُصدِّق الشاب من الفرح ما حدث، بل مضى إلى أحد الإخوة المسيحيِّين ليُعلّمه الإيمان، وبعد قليل نال سرّ المعموديّة وصار خليقة جديدة في المسيح يسوع.

صلاة

أيها الآب السماوي، ساعدنا أن نتبعك في كل مناطق الحياة ومناحيها بما فيه الجنس كواحد من أعظم العطايا المُقدّمة إلينا، لأنّ في دائرة وصيّتك أنت فقط تجد هذه العطيّة شبعها الصحيح.

يا أبانا، إن كُنّا قد أسأنا استخدام هذه العطيّة، دعنا نتوب ونعود إليك، كي نجد الغفران والسلام والحياة الجديدة. آمين.

الملائكة

للقديس يوحنا الدمشقي

خلقُ الملائكة وطبيعتهم

هو اللّه نفسهُ صانعُ الملائكة وبارئُهم ومُخرجُهم من العدم إلى الوجود. وقد خلقهم على صورته الخاصة ، طبيعة لا جسميّة ، على مثال ريحٍ ما ونارٍ لاماديّة ، كما يقول داود الإلهي: «الصانع ملائكته رياحاً وخدّامه لهيب نار» (مز ١٠٣: ٤). وقد صمّم اللّه فيهم الخفّة والتوقّد والحرارة وسرعة النفوذ والحدّة في تلبية أوامرِه وخدمته والتسامي بذواتهم ونفورهم من كلّ فكر ماديّ.

الملاك لا جسم له

ومن ثمّ إنّ الملاك جوهرٌ عقلاني ، دائم الحركة ، مُطلقُ الحريّة ، لا جسم له. يخدم اللّه ويتمتّع في طبيعته بنعمة الخلود. أمّا نوع جوهره وتحديده فلا يعرفها إلاّ الخالق وحده. ويُقال فيه بأنّه لا جسميّ ولا ماديّ ، ذلك بالنسبة إلينا ، لأنّ كلّ شيء بالمقابلة مع اللّه ـ الذي وحده ليس من يضاهيه ـ يبدو كثيفاً ومادياً . وبالحقيقة إنّ اللاهوت وحده منزّهٌ عن المادة والجسم.

يتمتع الملاك بحريّة الرأي

وعليه إنّ طبيعة الملاك ناطقةٌ وعاقلةٌ وحرّةٌ ، متقلّبةُ الرأي، أي متحولة الإرادة ، فإنّ كل مخلوق متحوّلٌ ، وغير المخلوق وحده لا يتحوّل. وكلُّ ناطق حرٌّ. فإذاً ، بما أنّ طبيعته ناطقةٌ وعاقلةٌ فهي حرّة ، وبما أنّها مخلوقةً فهي متحوّلة ، لها المقدرة على البقاء والتقدّم في الصلاح وعلى التحوّل إلى الشرّ.

الملاك غير قابل للتوبة

إنه غير قابل للتوبة ، لأنّ لا جسد له . أما الإنسان فلسبب ضعف جسده يحظى بالتوبة.

الملاك خالد ، ليس بالطبيعة ، بل بالنعمة

وهو خالدٌ ، لا بالطبيعة بل بالنعمة. لأنّ كلّ من ابتدأ ، فبموجب طبيعته ينتهي أيضاً . أما اللّه وحده وقد كان دائماً فهو بالأحرى فوق الديمومة ، لأنّه خالق الأزمان ليس هو تحت الزمن بل فوق الزمن.

الملائكة نيّرات ثابتة

إنّها النيرات العقليّة الثانية تستمدّ إنارتها من النور الأوّل الذي لا بدء له. وهي ليست بحاجة إلى لسان وسَمَع ، لكنها تتبادل الأفكار والآراء بدون نطق خارجي.

وعليه إنّ الملائكة قد خُلقوا جميعاً بالكلمة وتكمَّلوا بالروح القدس فحصلوا على الإنارة والنعمة لكرامتهم ورتبتهم.

الملائكة محدودون

إنّهم لمحدودون ، فهم عندما يكونون في السماء لا يكونون على الأرض، وإذا أرسلهم اللّه إلى الأرض لا يبقون في السماء. لكنّ الأسوار والأبواب والأقفال والأختام لا تَحُول دون وجودهم ، لأنّهم لا يُحصرون . وأقول لا يُحصرون لأنّهم لا يظهرون كما هم للمستحقّين الذين يريد اللّه أن يَظهروا لهم ، بل يتخذون صورةً يستطيع معها الناظرون إليهم أن يروهم. أمّا ذاك الغيرُ المحدود طبعاً وحقيقةً فهو الأَحدُ الذي لم يُخلَق، لأن كلّ خليقة يحدِّدها اللّه الخالق نفسه.

إنهم ينالون التقديس من الروح القدس من خارج جوهرهم ، ويتنبأُون بمؤازرة النعمة الإلهيّة. ولا يتزوّجون لأنهم لا يموتون.

مكان الملائكة

ولأنهم عقول ، فهم في أمكنة عقلانيّة أيضاً ، غيرُ محصورين حصراً جسمانياً. ومن اقتضاء طبيعتهم أن لا يكون لهم شكلٌ جسمانيّ ولا أن يمتدّوا في الأنحاء الثلاث، بل أن يحضروا حضوراً عقلانياً ويعملوا حيثُ يؤمَرون دون أن يستطيعوا في آن واحد أن يكونوا ويعملوا هنا وهنالك .

لا يتضح أنهم متساوون في الجوهر

ولسنا نعلم هل هم متساوون في الجوهر أم هم مختلفون بعضهم عن بعض. إنّ اللّه وحده الذي صنعهم يعلم هذا ، لأنّه يعرف كل شيء. وهم يختلف بعضهم عن بعض بالإنارة وبالمقام ، لحصولهم على المقام نظراً للإنارة ، أو على الإنارة نظراً للمقام. وهم ينيرون بعضهم بعضاً لسموّ رتبتهم أو طبيعتهم . لأنّه واضحٌ أنّ المتفوّقين منهم يُشركون مَن هم دونهم بالضياء والمعرفة.

يتولى الملائكة الشؤون البشرية

هم أقوياءُ ومستعدّون لتلبية مشيئة اللّه. ولسرعة طبيعتهم يوجدون فوراً حيثما تدعوهم إشارة منه تعالى. وهم يحافظون على قطاعات الأرض ويعتنون بالشعوب والمواضع على حسب ما رتَّبه لهم الخالق ويسوسون شؤوننا ويُغيثوننا . وهم يُقيمون بكلّيتهم في حضرة اللّه لأجلنا تلبيةً لمشيئة اللّه وأمره.

يصعب تحرّكهم نحو الشرّ

إنّه لصعب تحرّكهم نحو الشرّ ، وليسوا بغير متحرّكين إليه إطلاقاً. وهم لا يتحركون إليه الآن ، لا من طبيعتهم ، بل بالنعمة وبثباتهم في الخير الوحيد.

طعامُ الملائكة

هم يرون اللّه على قدر استطاعتهم. وبهذا يقوم طعامهم. إنّهم يتفوّقون علينا بصفتهم خالين من الجسد ومن كلّ إنفعال جسمانيّ. ولكنهم ليسوا بدون إنفعال البتّة، لأن الإله وحده لا ينفعل.

ظهورات الملائكة

وإنّهم يغيّرون شكلهم تلبية لما يأمرُهم به اللّه سيِّدُهم وعلى هذا النحو يتراءون للبشر ويكشفون الأسرار الإلهيّة. هم يعيشون في السماء وعملهم الواحد تسبيح اللّه وخدمة مشيئته الإلهيّة.

رُتبُ الملائكة

على نحو ما جاء في أقوال ديونيسيوس الأريوپاچي المتفوّق في القداسة والطهارة وعلم اللاهوت > إنّ علم اللاهوت ـ أو بالحري الكتاب المقدّس ـ يذكر تسعة جواهر سماويّة. ويحصرُها صاحب الكهنوت الإلهيّ هذا في ثلاث ثلاثيّات من الرُتَب ، ويقول: إنّ الثلاثيّ الأوّل موجودٌ دوماً حول اللّه مُستسلماً للإتحاد به تعالى عن قُرب وبدون وسيط وهم جماعة السيرافيم المسدّسي الأجنحة والكيروبيم الكثيري الأعين والعروش الفائقيّ القداسة، والثلاثي الثاني هم جماعة الأرباب والقوّات والسلطات ، والثلاثيّ الثالث هم الرئاسات ورؤساء الملائكة والملائكة.

متى خلَقَ اللّه الملائكة

إذاً يقول بعضهم إنّ الملائكة وُجدوا قبل الخليقة كلّها، على نحو ما قال القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ: «لقد فكّر اللّه بالقوّات الملائكيّة والسماويّة ، وكان تفكيره عملاً» . ويقول آخرون إنه تعالى قد خلق الملائكة بعد أن كانت السماء الأولى. ويتفق الجميع على أن ذلك كان قبل جَبْل الإنسان، أمّا أنا فأقف إلى جانب اللاهوتيّ ، لأنّه كان يليقُ أن يُخلَق الجوهر العقلاني أولاً ، ثمّ الحسيّ ، وأخيراً الإنسان نفسه ، من كلا الجوهرين.

لم يكنْ الملائكة قط خالقين

أمَّا أولئك الذين يقولون بأنّ الملائكة صنعوا جوهراً ما ، فإنما هم فَمُ الشيطان أبيهم ، لأنّ الملائكة خلائق وليسوا خالقين . وما صانع الكُل والمعتني به وحافظُه إلاّ اللّه وحدَه الذي لم يخلقْه أحدٌ وهو المسجود له والمُمجّد في الآب والإبن والروح القدس.

الملائكة في الكتاب المقدس

من هم الملائكة

تُترجم كلمة «ملاك» في العهد القديم عن الكلمة العبريّة «ملاك» (كما هي في العربيّة). أما في العهد الجديد فتُترجم عن الكلمة اليونانيّة αγγελος «آنجلوس». ومعنى كل من الكلمتين «رسول». وقد تُرجمتا فعلاً في العربيّة بهذه الكلمة «رسول». (٢صم٢:٥،لو٧:٢٤،٩:٥٢).وترد الكلمتان العبرية واليونانية نحو ٣٠٠ مرّة من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا.

إنّ المصدر الوحيد لمعلوماتنا عن الملائكة هو الكتاب المقدّس . وأوّل مرّة يَرد فيها ذكر الملائكة في الكتاب المقدّس هي عندما طَردَ اللّه آدم وحوّاء من الجنّة، «وأقام شرقي جنّة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلّب لحراسة طريق شجرة الحياة» (تك٣:٢٤).وقد أمر الربّ موسى أن يصنع كروبين من ذهب صنعة خراطة على طرفيّ غطاء التابوت في خيمة الشهادة (خروج ٢٥:٨-٢٢). كما أمره أن يصنع الحجاب الذي يفصل بين

القدس وقدس الأقداس حيثُ كان تابوت الشهادة «من إسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم ، صنعة حائك حاذق، يصنعه بكروبيم» (خروج ٣١:٢٦). كما نقَشَ سليمان «كروبيم» على حيطان الهيكل، «وغشّى البيت: أخشابه وأعتابه وحيطانه ومصاريعه بذهب، ونقش كروبيم على الحيطان (أخبار الأيام الثاني ٣:٧).

ويذكر الكتاب المقدّس أسماء لثلاثة ملائكة هم: رئيسي الملائكة ، ميخائيل وجبرائيل ، والملاك روفائيل. أما بحسب تقليد الكنيسة فهناك سبعة رؤساء ملائكة تناسب أيام الأسبوع وهم: **ميخائيل ، وجبرائيل، ورافائيل ، وأورئيل ، وعزقيل ، وحنائيل ، وكيفاريل.** وهم جميعاً رؤساء ملائكة. ولهم وحدهم حقّ المثول في محضر اللّه ﴿أنظر ما قاله جبرائيل عن نفسه لزكريا: «أنا جبرائيل الواقف قدّام اللّه» (لوقا١:١٩)﴾. فهؤلاء الملائكة يسمعون صلوات القدّيسين ويرفعونها إلى حضرة اللّه ، ثمّ يقفون على إستعداد لتنفيذ ما يأمر به ، كما يذكر سفر طوبيّا.

إلاّ أن جميع الملائكة يقسمون إلى تسع طغمات. هذه أسمائها:
١) كراسي أو عروش. ٢) الشاروبيم. ٣) السارافيم. ٤) أرباب ٥) قوّات. ٦) سلاطين. ٧) رئاسات. ٨) رؤساء ملائكة. ٩) ملائكة.

ويصف أشعياء النبيّ «السارافيم» (وهم فئة من الملائكة) بأنّ لكل واحد ستة أجنحة «بأثنين يغطي وجهه ، وبأثنين يغطي رجليه ، وبأثنين يطير». وطار إليه « واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومَسَّ بها فم النبي » (أش ٦:١-٧). وهذه إشارة واضحة لإستعمال الملعقة في المناولة لدى الكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة. هذه الملعقة التي تحمل نار اللاهوت.

والملاك الذي رأته المريمات جالساً على القبر كان «منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج» (مت ٢٨:٣). والملاكان اللذان ظهرا للمريمات عند القبر فجر الأحد ظَهَرا «بثياب برّاقة» (لو ٢٤:٤)، واللذان ظهرا للتلاميذ عقب صعود الرب ، «وقفا بهم بلباس أبيض» (أع ١:١). ورأت الجموع التي كانت تستمع للقديس استفانوس «وجهه كأنه وجه ملاك» (أع ٦:١٥). من الجمال الذي أضفاه عليه ما كان يملأه من السلام والفرح لملاقاة الربّ.

والملائكة خلائق سماويّة، خلقهم اللّه قبل خلق العالم (أي ٣٨:٦-٧ ، مز١٤٨:٢ ، كو١:٢). فاللّه هو «الصانع ملائكته أرواحاً وخدّامه ناراً تلتهب» (مز١٠٣:٤). فهم «أرواح» (عب ١:١٤)، لكن اللّه أعطاهم القدرة على الظهور في شكل بشر (رجال) لتأدية رسالة معيّنة (تك ١٩:١ و١٥و١٥ ،أع١:١١). والملائكة أسمى مرتبة من الإنسان، وأوسع معرفة منه، لكنهم لا يعلمون كلّ شيء (٢صم ١٤:٢٠ ، ١٩:٢٧ ، مت ٢٤:٣٦ ، ١بط ١:١٢). كما أنهم أقوى من البشر ولكنهم ليسوا كلي القدرة، ويجب ألاّ يكونوا موضوعاً للعبادة، كما أنهم محدودون مكاناً، فلا يوجد الواحد منهم في كل مكان في نفس الوقت، وقد يسمح لهم اللّه أحياناً بإجراء معجزات، وتوجد منهم في السموات أعداد غفيرة ، وهم لا يزوجون ولا يتزوّجون (مت ٢٢:٣٠).

وكان الشيطان أحد الكاروبيم، إذ يقول اللّه: «أنت الكروب المنبسط المظلل وأقمتك على جبل اللّه المقدس كنت بين حجارة النار تمشيت. أنت كامل في طرقك من يوم خُلقت حتى وُجِدَ فيكَ إثم» (حز ٢٨:١٣-١٥).

خدمة الملائكة

تتنوّع خدمات الملائكة ، ولكن العمل الرئيسي لهم هو أنّهم «يُرسَلون» من اللّه لتبليغ رسائله أو تنفيذ مشيئته. فقد تكلّم ملاك إلى إمرأة منوح، ثم إليه أيضاً لتبشيره بمولد شمشون (قضاة ١٣:٣و٩). وتكلّم ملاك إلى زكريا لتبشيرهما بمولد يوحنا المعمدان (لو١:١١-٢٠). كما بشّر الملاك مريم العذراء بمولد الربّ يسوع المسيح (لو١:٢٦-٣٨). وتكلّم الملاك إلى يوسف خطيب مريم عدّة مرّات ، وتكلّم الملائكة إلى الرعاة، وتكلّم ملاك إلى كرنيليوس ، وإلى الرسول بولس. وأنبأ كثيرون من الملائكة يوحنا الرائي بالأحداث المذكورة في سفر الرؤيا.

ويَمثُل الملائكة في محضر اللّه في خشوع وتعبّد، وهم «أرواح خادمة مرسلة للخدمة » للمؤمنين (عب ١:١٤). وذلك بمعاونتهم أو حمايتهم أو إنقاذهم أو إرشادهم، كما يقومون أحياناً بتشجيع المؤمنين، أو توضيح مشيئة اللّه ، أو تنفيذ مشيئة اللّه ، سواء بالنسبة لأفراد أو الأمم، كما أنّهم يحرسون المؤمنين، وقد حملت الملائكة لعازر المسكين إلى حضن إبراهيم. كما أنّهم يفرحون بخاطىء واحد يتوب.

وقد كان للملائكة دور كبير فيما يختص بالرب يسوع فقد بشّروا بولادته ، وجاءت تخدمه بعد تجربة إبليس له في البريّة، وكذلك في جهاده في بستان جثسيماني ، كما دحرج الحجر عن باب القبر. وبشّر ملاك مريم المجدليّة ورفيقتها بقيامة الربّ. كما قال الربّ لبطرس: «أتظن أني لا أستطيع أن أطلب إلى أبي فيقدّم لي أكثر من إثني عشر جيشاً من الملائكة» (مت ٢٦:٥٣). وسيكون للملائكة دور عند ظهوره في مجيئه الثاني.

الخلاصة:

إن الكتاب المقدس لا يعلن لنا عن الملائكة إلا القليل، ومع ذلك فهو بالغ الأهميّة، لأنّه:

١) يحفظنا من ضيق الفكر عن مدى اتساع خليقة اللّه وتنوعها.

٢) يساعدنا ـ إلى حدٍّ ما ـ على إدراك عظمة الرب يسوع المسيح الذي هو أعظم من الملائكة بل هو موضوع تعبّدهم (عب١:٤و٦).

٣) يعطينا صورة رائعة عن العالم غير المنظور الذي نحن في طريقنا إليه.

٤) يضع أمامنا مثالاً للفرح بإتمام مشيئة اللّه «كما في السماء كذلك على الأرض»، فالملائكة إنما ينفذون مشيئة اللّه تماماً ، فهم «المقتدرون قوّة ، الفاعلون أمره عند سماع صوت كلامه» (مز١٠٢:٢٠).

٥) إنهم يخجلوننا لعدم مبالاتنا بخلاص الأعداد الغفيرة حولنا ، «لأنه يكون فرحٌ عظيم قدام ملائكة اللّه بخاطىء واحد يتوب» (لو١٥:١٠).

٦) إنهم يوسعون رؤيتنا لمراحم اللّه المتنوعة، إذ أن ملائكته جميعهم ما هم إلا «أرواح خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١:١٤).

٧) إنهم يذكروننا بمركزنا الرفيع الذي أوصلتنا إليه النعمة ، والمصير الذي ينتظرنا نحنُ المؤمنين بالمسيح ، فسنكون «كملائكة اللّه في السماء» (مت٢٢:٣٠)، بل «سندين ملائكة» (١كو٦:٣). بالمسيح يسرع ✠ آمين

للأولاد الأذكياء فقط

إجابات أسئلة العدد السابق

من صنع الله به هذه المعجزة ؟

١ – إقامة ابن الشونميّة من الموت ؟ **أليشع النبي**
٢ – جميع الذين لمسوه نالوا الشفاء ؟ **الرب يسوع**
٣ – شفاء طابيتا في يافا ؟ **بطرس الرسول**
٤ – إقامة ابن أرملة صرفة صيدا من الموت ؟ **إيليا النبي**
٥ – إبراء إسكافي أصابه مغراز في أصبعه؟ **القديس مرقس**
٦ – حل الحديد في إحدى المدن إلى ماء ؟ **العذراء مريم**
٧ – الإنتقال في داخل جوف حوت لمدّة ثلاثة أيام؟ **يونان النبي**
٨ – عبور بني إسرائيل نهر الأردن على اليابسة ؟ **يشوع بن نون**
شَرِبَ السُمّ ولم يتأثّر ؟ **القديس جوارجيوس**
١٠ – تفسير الحلُم الصعب للملك ؟ **دانيال الملك**
١١ – عبور البحر الأحمر إلى اليابسة ؟ **موسى النبي**
١٢ –شفاء أعرج من بطن أمّه عند باب الجميل ؟ **القديسان بطرس ويوحنا**

أسئلة هذا العدد :

إختر الكلمة الصحيحة مما بين القوسين لتلك الآية

١ – سالموا (بعض ـ جميع ـ أحب) الناس .
٢ – لتستقم صلاتي (يا رب ـ كالبخور ـ سريعاً) قدامك .
٣ – ثقوا أنا قد غلبت (الأشرار ـ الأقوياء ـ العالم) .
٤ – أدخلوا من الباب (الواسع ـ الضيّق ـ السهل) .
٥ – واظبوا على (الصوم ـ الصدقة ـ الصلاة) ساهرين فيها بالشكر .
٦ – ينبغي أن يُطاع اللّه أكثر من (القديسين ـ الملائكة ـ الناس) .
٧ –يا ابني أعطيني قلبك ولتلاحظ عيناك (العالم ـ طُرقي ـ الإنجيل).
٨ – إن كل من يعمل الخطيّة هو (عبد ـ مُحب ـ مُطيع) .
٩ – (مجروح ـ أُهين ـ دُفن) لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا.
١٠ – المساير الحكماء يصير (هادئاً ـ غنيّاً ـ حكيماً) ورفيق الجهال يضر
١١ – من يأكل (جسدي ـ هذا ـ ذلك) ويشرب دمي فله حياة أبديّة.
١٢ – لا يغلبنّك الشر بل إغلب الشر (بالهروب ـ بالهجوم ـ بالخير).

الإجابات في النشرة القادمة

تابع من صفحة ٧

الجمل الصغير وأصدقاء السوء

"لقد دخَلَ الأسد في معركة مع الفيل ، ضربه الفيل ضربة قويّة فامتلأ جسمه بالجراحات ، وها هو في عرينه عاجز عن الحركة. هَلُمَّ نفتقده في مرضه ، فإننا لم نرد أن نذهب بدونك.

فَرِحَ الجمل الصغير من أجل إخلاص أصدقائه له واهتمامهم به أنّهم لا يذهبون إلى الملك بدونه.

سأل الكل عن صحّة الملك الذي كان جائعاً جداً ، وغير قادر على الخروج ليبحث عن طعام. فقد سَبَقَ وجاء إليه الغراب والذئب والثعلب وسألوا عنه فقال لهم أنه جائع، فطلبوا منه أن يفترس الجمل ويأكله ، لكنّه رفَضَ قائلاً: "لقد وعدته أن أحميه فكيف أفترسه" قالوا له: "لا تخف فإنّنا سنأتي به إليك ، ونطلب منه أن يسألك أن تفترسه".

إذ دخل الجميع وسألوا عن صحته ، قال لهم الملك: "إنّي مريضٌ جداً كما تَرون ، وجائع ، أعجز عن الخروج لأُحضر طعاماً".

تقدّم الغراب وقال له: ها أنا بين يديك أيها الملك العزيز فأنت صديقٌ وفيّ كنت تقدّم لنا طعاماً كل يوم. لتأكلني ولا تموت من الجوع".

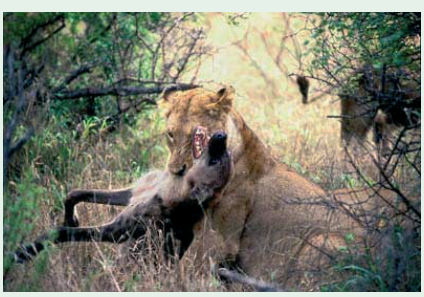

للحال تقدّم الثعلب وقال: "لا يا جلاله الملك ، فإنّ الغراب صغيرٌ جداً ليس فيه لحم ، لا يصلح أن يكون وجبة للملك ، وربما تقف عظمة في حنجرتك. لتأكلني أنا. فأنا أردّ لك محبّتك واهتمامك اليوميّ بي".

عندئذ تقدّم الذئب وقال: "لا تأكل الثعلب يا أيها الملك فإنّ لحمه دنس، ولا يصلح أن يكون وجبة للملك العزيز ، لتأكلني أنا، فأنا وجبة طعام شهيّة لك. إنه قد حان الوقت لأُظهر وفائي لك". بصوت واحد قال الغراب والثعلب: "لا أيها العظيم في الملوك، إن لحم الذئب لا يصلح لك بل يؤذيك!".

كان الجمل يرى وينصت لكل ما يحدث حوله ، عندئذ تقدّم إلى الملك يقول ما قاله أصدقاؤه الأشرار: "أيها الملك العزيز والقويّ. إنّني باسم الصداقة أطلب منك إن كنتَ لا تقدر أن تأكل الغراب ولا الثعلب ولا الذئب ، فاسمح أن تأكلني".

قبل أن يكمّل الجَمل حديثه صرَخَ الثلاثة **أصدقاء الأشرار**: "نعم أيها الملك. إسمع له فيما يقول ، فإنّ ذلك يمثّل طعاماً لائقاً بك".

بغير رحمة وَثَبَ الأسد وأصدقاؤه على الجَمَل وافترسوه ليأكلوا وينهشوا لحمه. وهكذا راحَ الجمل المسكين ضحيّة الصداقة الشريرة.

من أقوال
القديس يوحنا الدمشقي

الملاك لا يُحصَر في مكان حصراً جسمانيّاً
لكي يمكن تمثيله بصورة أو بشكل.
ومع ذلك يُقال إنّه في مكان ،
لحضوره حضوراً عقلانيّاً وفعله بحسب طبيعته.
وهو لا يوجد إلّا حيثُ يُحصَر حصراً عقلانيّاً،
ومن ثمَّ يفعل أيضاً.
وأنه لا يستطيع أن يفعل في آنٍ واحد في أمكنة مختلفة،
لأنّ اللّه وحده يعمل في كل مكان في آنٍ واحد ،
إلّا أنّ الملاك ـ لسرعة طبيعته ـ
ينتقل انتقالاً فجائيّاً أي سريعاً ،
فيعمل في أمكنة مختلفة.
لكن الإله الكائن في كل مكان وفوق الجميع،
يفعل في الوقت نفسه أفعالاً مختلفة بفعل واحد بسيط.